الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المباحث اللسانية في كتاب المزهر للسيوطي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات عامة

إعداد الطالبة:

فريحي ريان

إشراف الأستاذ الدكتور:

نوار عبيدي

لجنة المناقشة

الأساتذة	الرتبة	الهيئة	الصفة
د. قدور كحالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشاذلي بن جديد	رئيسا
أ.د نوار عبيدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشاذلي بن جديد	مشرفا ومقررا
د. حفصية بوخضرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشاذلي بن جديد	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــــر وعرفـــــان

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا على إنجاز هذا العمل.

أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان إلى من مدّ لنا يد العون وأعاننا على إنجاز هذا العمل.

الأستاذ المشرف

الأستاذ الدكتور نـــوار عبيـــدي

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة في تذليل ما واجهنا من صعوبات.

وإلى كل من زرع روح التفاؤل في دربنا، وقدم لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات، فلهم منّا كل التقدير والاحترام.

إهـــــــــــداء

قال تعالى: " وَاْخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ اِرْحَمْهُمَا كما رَبَّيَانِي صَغِيرًا

الحمد لله الذي لا تتم الأعمال إلا بعونه، سبحانه الذي وفق عبده بما يحبه ويرضاه.

أهدي ثمرة هذا العمل:

إلــى من منحتني الطمأنينة والسكينة، إلى من حملتني وهنا على وهن، إلى من كان حبها مصدر قوتي ودعاؤها رفيق دربي

إليك يا أمـــــي العزيزة حفظك الله ورعاك.

إلــى من سخر حياته لأَصِلَ إلى ما أنا عليه اليوم

إلى من سعى وشقى لينير دربي، إلى من يحمل عنائي ليلا ونهارا

أبـــــــــي الغالي حفظك الله.

إلى من تقاسمت معهم حلو الحياة ومرّها، إلى من كانوا لي نعم العون والسند

أخـــــواتي حفظهن الله ورعاهن.

إلى اللواتي رافقن مسيرتي العلمية

صـــــديقاتـــي بلا استثناء.

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

"ريـــان فريحي"

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يكن يعلم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين خاتم الأنبياء أجمعين، سيد الخلق والمرسلين أما بعد:

استطاعت اللغة العربية خلافًا لكثير من اللغات أن تبني صرحًا كبيرا لعلومها ومباحثها العديدة، فقد بدأ البحث في اللغة العربية منذ السنوات الأولى من القرن الهجري الأول حينما دعا علي رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي أن يضع علمًا للعربية سماهُ النحو، وقال بأن اللغة العربية كلها: اسمٌ وفعل وحرف؛ فكانت هذه البداية مشعلا حملهُ مُحِبُو العربية فبدؤا بجمعها وتصنيفها والبحث في خصائصها حتى استقام عودها وأصبح للعربية علومها ومؤلفات ومذاهب ومدارس.

ويعدّ السيوطي من أبرز علماء العربية الذين قدموا لها أصنافاً من الأبحاث اللغوية مرتبة وممنهجة ومفصلة، جمع أغلبها في كتابه "المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها"، ومن هنا جاءت رغبتنا في دراسة هذا المؤلف العجيب، فكان عنوان بحثنا

المباحث اللسانية في كتاب المزهر للسيوطي

ويهدف هذا البحث إلى:

- التعريف بكتاب المزهر؛
- التعريف بأهم المباحث اللسانية في المزهر؛
- مقارنة آراء السيوطي وبعض القدماء اللسانية بآراء المحدثين.

وقد طرحنا على أنفسنا مجموعة من الأسئلة نعدها إشكالات لهذا البحث، أمّا الإشكال الرئيسي فهو:

معرفة مدى علمية ومنهجية المباحث اللسانية في التراث العربي.

وينزل من هذا الإشكال إشكالات فرعية أخرى أهمها:

- هَلْ وُفِقَ السيوطي في جمع أهم المباحث اللسانية القديمة؟
- إلى أي مدى استطاع أن يحلل ويناقش المباحث اللسانية العربية؟

وللإجابة عن كل هذه الأسئلة اخترنا الخطة التالية والمتكونة من مقدمة ثم مدخل وفصلين وخاتمة.

في المقدمة مهدنا للموضوع، وشرحنا الخطة والمنهج.

أما المدخل الذي كان بعنوان "اللسانيات العربية القديمة" فقد تناولنا فيه أهم المباحث اللسانية العربية حسب مستوياتها التي هي الصوت، الصرف، النحو، والدلالة.

وجاء الفصل الأول الذي كان نظريًا بعنوان "المباحث اللسانية الكبرى في اللغة العربية" حيث اندرج تحته ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول شمل التعريف بالمؤلف (السيوطي)؛
- المبحث الثاني جاء بعنوان نشأة اللغة، وقد تناولنا في هذا المبحث مفهوم اللغة، ومقارنة آراء القدماء والمحدثين في نشأتها، وذلك بمجموعة من النظريات من بينها (النظرية التوقيفية، ونظرية الاصطلاح، ونظرية المحاكات، والنظرية الفطرية)
- المبحث الثالث جاء بعنوان "فصاحة اللغة"؛ وتناولنا فيه مفهوم الفصاحة في معاجم اللغة وفي القرآن الكريم، إضافة إلى فصاحة قريش وخصائصها عند بعض العلماء منهم (ابن فارس، ابن جني...) ثم بعد ذلك تطرقنا إلى الفصاحة عند المتكلمين وبعض آراء المحدثين والقدماء منهم (ابن سينان، والجاحظ...)، وأيضا الفصاحة عند البلاغيين المتأخرين وقد أخذها بعض رجال البلاغة من بينهم (الفخر الرازي، السكاكي، القزويني).

أما الفصل الثاني والذي كان تطبيقيًا والمعنون بـ "المباحث اللسانية من وجهة نظر السيوطي"، فينطوي تحته ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول كان التعريف بالكتاب "المزهر"، وهو كتاب يعد من أهم كتب التراث التي تناولت اللغة العربية، وقد أشاد به الكثير من العلماء بسبب ما يحتويه من مسائل في اللغة وقضاياها.
- والمبحث الثاني كان بعنوان "نشأة اللغة" حيث تناولنا فيه مجموعة من النظريات التي جاء بها السيوطي وذلك بنقله آراء وأقوال العلماء وحججهم، من بينهم (رأي ابن فارس في

النظرية التوقيفية، ورأي ابن جني في النظرية التوفيقية وفي نظرية المحاكاة)، كما وضع السيوطي لكل نظرية احتجاج القائلين بها.

- والمبحث الثالث كان بعنوان "فصاحة اللغة" وتحدثنا فيه كيف فصل السيوطي الفصاحة إلى أقسام حيث جمعها ورتبها إلى ثمانية أبواب، كان الباب الأول الفصاحة في المفرد وضع لها شروطا دقيقة وهي خلوصها من (التنافر، الغرابة، الابتذال...الخ)، والباب الثاني وهو الفصاحة في الحروف، ويندرج تحته أربعة عناصر: أسباب التنافر، وأنواع تأليف الحروف، وأكثر الحروف استعمالا، وفصاحة الأبنية، أما الباب الثالث وهو رتب الفصاحة، والرابع ألفاظ القرآن، والخامس كتاب الفصيح، والخطأ في كتاب الفصيح، والباب السادس معرفة الفصيح من العرب، ويندرج تحت هذا الباب عنصران وهما أفصح الخلق، وأفصح العرب، والباب السابع أخذُ اللغة عن أهل الحضر والوبر، وآخر باب هو رتب الفصاحة وأمثلة لرتب الفصيح.

ثم ختمنا بحثنا بخاتمة احتوت على أهم النتائج المتوصل إليها.

وكان المنهج الوصفي التحليلي السبيل الوحيد لإنجاز هذه المذكرة، حيث وصفنا المباحث اللسانية مع إجراء بعض المقارنات بين آراء السيوطي وبعض آراء المحدثين.

ولعل عنوان مذكرتنا الموسوم بـ "المباحث اللسانية في كتاب المزهر للسيوطي" لم يكن هو الأول بل سبقته مجموعة من الأعمال البحثية والمقالات العلمية نذكر منها:

- الدراسات اللغوية عند العرب القدامى واللسانيات الحديثة، لخولة تجانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016م.
- مفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية الحديثة عند العرب، زهرة ماضي، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2016م.
- محاضرات مستويات التحليل اللساني، د. سمراء عمر، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2021م.

- نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، هاشم أشعري، جامعة كياهي الحاج عبد الحليم موجوكرطا.
- نشأة وتطور اللغة العربية، حسن بربورة، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2011م.
- مجالس تقريب التراث، كلية اللغة العربية بالقاهرة. الأستاذ الدكتور أحمد علي ربيع،

وغيرها من المصادر والمراجع التي أفادتنا.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل المتمثلة أكثرها في ضيق الوقت وكثافة المباحث اللسانية عند السيوطي، وقد استطعنا التغلب عليها والحمد لله.

أما بالنسبة إلى المصادر والمراجع فقد اعتمدنا على المصادر القديمة وبعض المراجع الحديثة في اللسانيات، وهو مذكورة آخر هذا البحث.

ولا يسعنا في هذا المقام الا أن نشكر المولى عز وجل على توفيقه لنا وإنارة دربنا في إنشاء هذا البحث، إضافة إلى كل من مدنا بيد العون من قريب أو بعيد وعلى رأسهم المشرف الأستاذ الدكتور "نوار عبيدي" الذي كان عونا وسندًا لنا، إذ لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه، فنسأل الله تعالى أن يجازيه عنا خير الجزاء، كما أوجه شكري وامتناني لأعضاء لجنة مناقشة هذه المذكرة على قراءة البحث وحسن تقويمه: الأستاذ الدكتور قدور كحالة، والاستاذة الدكتورة حفصية بوخضرة، فالشكر موصول لكما وجزاكما الله عنا كل خير.

والحمد لله رب العالمين

المدخل:

اللسانيات العربية القديمة

المدخل:

تعدّ اللغة العربية من أشرف اللغات؛ وهي لغة مقدسة رفع القرآن الكريم من شأنها ومكانتها، تنتمي إلى اللغات السامية، حيث نشأت وترعرعت في أحضان جزيرة العرب سليمة نقية، وبقيت متماسكة حتى سطع نور الإسلام، وامتدّ بالفتوحات الإسلامية ودخل الناس إلى الإسلام أفواجا من كل بقاع العالم، " فكان لزاما على غير العربي أن تكون لغته العربية".[1]

"وقد مرت العربية بمراحل عدة، فتغيرت ألفاظها ومعانيها بما طرأ عليها من النحت والقلب والابدال، وما داخلها من لغات الأعاجم بسبب الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم من الأمم".[2]

ولم يستطع المؤرخون تبيان حال اللغة العربية في الأدوار التي مرت بها قبل الإسلام وذلك بسبب عدم العثور على أمثلة مدونة يرجع اليها ويقاس عليها، وعلى الرغم من غموض اللغة العربية في تاريخها القديم إلا أنها عُرفت عند ظهور الإسلام ناضجة بالغة بمنتهى الفصاحة والبلاغة في ألفاظها ومعانيها.[3]

ثم شاعت اللغة العربية وأصبحت ظاهرة خاضعة للدراسة فتناولها العديد من العلماء والفلاسفة، فأصبحت بذلك محطة للدراسات اللغوية في جميع العصور صوتًا، صرفًا، نحوًا، ودلالة.

ونحن هنا سنعرض هذه المستويات اللسانية لنرى المجهود الذي بذله علماء العربية في الدراسات اللغوية:

---

[1] محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، د ت، ط2، ص15.

[2] أسعد داغر، حضارة العرب، مطبعة هندية بالموسيكى بمصر، 1918، د ط، ص128.

[3] أسعد داغر، المرجع نفسه، ص128.

أولاً: علم الصوت

1: مفهوم الصوت

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور:" وقَدْ صَاتَ يَصُوتُ وَيُصَاتُ صَوْتاً، وأصاتَ، وصَوَّتَ بِهِ، كُلُّهُ نَادَى. ويُقال: صَوَّتَ يُصَوَّتُ تَصويتًا، فهو مُصَوتٌ وذلك إذا صَوَّتَ بِإِنسَانٍ فَدَعَاهُ. وفي الحديث: كان العبَّاسُ رَجُلاً صَيِّتًا، أي شديد الصَّوْتِ".[1]

اصطلاحا:

علم الأصوات هو "العلم الذي يتناول بالدرسِ الأصوات الإنسانية في جانبها المادي، وذلك من أجل وصفها، وتفسيرها، وتصنيفها وكتابتها، معتمدًا في ذلك كله، على النظريات والمعارف المستمدة من فُروع الأصوات الثلاثة: علم الأصوات المخرجي أو النطقي، وعلم الأصوات الفيزيائي والسمعي".[2]

ويرى العالم اللغوي " أبيركرومبي Abercrombie" أن هذا العلم (أي علم الأصوات) يتناول دراسة وسط اللغة المنطوقة بجميع أوجهها وتنوعاتها، ويقصد بالوسط أي الوسط المستعمل في النطق والتكلم في جميع اللغات الإنسانية.[3]

واهتم العديد من العلماء والفلاسفة بعلم الأصوات وأعطوا أهمية بالغة للدراسة الصوتية بنظرتهم العلمية الدقيقة. فعلماء اللغة المحدثون مثلا يعتبرون أن دراسة الأصوات تعتبر أول خطوة في أي دراسة لغوية، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة، والتي نعني بها الصوت الذي هو المادة الخام للكلام الانساني[4]، ولم يعالج اللغويون الأصوات علاجًا مستقلاً، وإنما تناولوها دائمًا مختلطة بغيرها من البحوث والدراسات الأخرى كالنحو والصرف وغيرها، أما بالنسبة للنحاة فقد

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط1، د ت، مادة (ص و ت)

[2] محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، جامعة القدس المفتوحة. عمان الأردن، 1996، ط1، ص08.

[3] المرجع نفسه، ص07.

[4] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، 1988م، ط6، ص93.

خصصوا بعض الأبواب في كتبهم النحوية لهذه الدراسة حيث اعتبروها تمهيداً أو مدخلاً لدراسة الظواهر النحوية كالإبدال والإدغام والإعلال، ومن بين الذين عالجوا الإدغام "سيبويه" في نهاية مؤلفه (الكتاب) و"المبرد" في (المقتضب).[1]

كما اشتغل البلاغيون على مباحث الأصوات كتنافر الأصوات وتآلفها، انطلاقًا من تحديد مخارج الحروف ومدى تأثير القرب أو البعد المخرجي في التنافر.[2]

وقد صنف العرب في ميدان الدرس الصوتي الأصوات العربية إلى فئات مختلفة وفقًا لمعايير خاصة وضعوها، كتقسيمهم الأصوات إلى صحيحة ومعتلة، ومهجورة، ومهموسة شديدة (انفجارية)، ورخوة (احتكاكية) ومستعلية (مفخمة)، ومُسْتَفِلة (مرققة).[3]

أما أصحاب المعاجم فقد تناولوا المسائل الصوتية، "إما في مقدمات معاجمهم، أو في ثنايا المادة اللغوية المجموعة، ويبدو الاهتمام بهذا النوع من الدراسة في المعاجم التي رتبت صوتيًا واتبعت نظام التقليبات (كالعين) للخليل.[4]

ساهم أيضًا علماء التجويد والقراءات القرآنية في تناول مخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها، "حيث قاموا بدراسة أصوات لغتهم على النحو الذي كانت تنطق به في الفترة المعنية التي قاموا خلالها بتقعيد عملية النطق لكل صوت من أصواتها "[5]

والملاحظ أن "الدراسة الصوتية تعدّ عاملاً مهما في دراسة أيّةِ لغة في مستوياتها الصرفية والنحوية والدلالية، إذْ لا يمكن دراسة الصرف دراسة صحيحة إلا بالاعتماد على الوصف الصوتي، فليس هناك علم للدلالة بلا صرف ولا علم للصرف بلا أصوات.[6]

---

[1] أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص93 (بتصرف)

[2] المرجع نفسه، ص96.

[3] محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، مرجع سابق، ص24.

[4] المرجع نفسه، ص94.

[5] المرجع نفسه، ص17

[6] المرجع نفسه، ص19.

ثانيا: علم الصرف

1: مفهوم الصرف

لغة:

الصرّف: " أنْ تصرفَ إنسانًا عنْ وجْهِ يريدهُ إلى مصْرفٍ غير ذلك، وصَرَّفَ الشيء أعْملهُ في غير وجْهٍ كأنهُ يصْرِفُهُ عنْ وجه إلى وجْهٍ، وتصَرَّفَ هُو. وتصاريف الأمور: تخاليفها، ومنه تصاريف الرياح والسّحَاب".[1]

اصطلاحا:

عرف الجرجاني الصرف في معجم التعريفات على أنه: "علم يعرف به أحوال المكَلِم من حيث الإعلال"[2].

ويعرف علماء العربية علم الصرف "بأنه العلم الذي تُعرف به كيفيةُ صياغة الأبنية العربية وأحوالُ هذه الأبنية التي ليست إعرابًا ولا بناء، والمقصود بالأبنية هيئة الكلمة ومعنى ذلك أن العرب القدماء فهموا الصرف على أنه دراسة لبنية الكلمة وتبيان أصولها[3].

ولا يهتم هذا العلم بدراسة الحروف أو الأسماء المبنية ولا الأفعال الجامدة، فميدانه ينحصر في دراسة نوعين من الكلمة (الاسم المتمكن والفعل المتصرف)[4].

وقد "بالغ علماء العربية قديمها وحديثها في الثناء على علم الصرف إلى حد اعتباره العلم الأول والأساس في فهم اللغة العربية"[5].

و"يطلق الأوربيون على علم الصرف مورفولوجي (morphology)، ومن طبيعة دراسة هذا المستوى من اللغة أن يتناول الناحية التشكيلية التركيبية للصيغ والموازين الصرفية، وعلاقاتها

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (ص، ر، ف).

[2] الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المِنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ت، د ط، ص 119

[3] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، د ط، ص 07.

[4] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، المرجع نفسه، ص 09 (بتصرف).

[5] نوار عبيدي، المباحث الصرفية في المعاجم العربية، دار أنوار للنشر، عنابة، الجزائر، ط2، 2018، ص 13.

التصريفية من ناحية والاشتقاقية من ناحية اخرى، ثم تتناول ما يتصل بها من ملحقات، سواء كانت هذه صدورًا أو أحشاء أو أعجازًا"[1].

وتكمن فائدة علم الصرف" في صون اللسان عن الخطأ في المفردات، ومراعاة قانون اللغة في الكتابة".[2]

وقد اهتم العرب بعلم الصرف كغيره من العلوم، " ولعل أول من أفرد لهذا العلم مؤلفا خاصا هو المازني (249هـ) حين وضع كتابه التصريف، وبالرغم من أن كثيرا ممن عاصره – قبله أو بعده بقليل – تحدث عن الفن وأفرد له مؤلفا؛ إلا أن المازني تفرد عن الجميع بدقته وسعة اطلاعه وفهمه الجيد لموضوعه"[3]

أهم ما فعله العرب في علم الصرف هو اختراعهم للميزان الصرفي لمعرفة أحوال بنية الكلمة، وهو من أحسن ما عُرف من مقاييس في ضبط اللغات، ويسمى (الوزن) في الكتب القديمة أحيانا (مثالاً) فالمُثلُ هي الاوزان[4].

كما تناول الدرس الصرفي بنية الكلمة وأحوالها من حيث إفرادها وتثنيتها وجمعها التي تمثلها الصيغ والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية، ومن أهم مستويات التحليل الصرفي نجد الاشتقاق والتصريف والإعلال والإبدال والإدغام.

فالاشتقاق "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىً ومادةً أصلية وهيئة تركيب لها، ليُدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروف أو هيئة، كضارب من ضرب وحَذِرٍ من حَذِر[5]."

---

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتب النسر للطباعة، 1989، د ط، ص170

[2] عبد العزيز عتيق، علم النحو والصرف، مكتبة منيمنه، بيروت، لبنان، 1963م، ط1، ص98.

[3] نوار عبيدي، المباحث الصرفية في المعاجم العربية، مرجع سابق، ص 18.

[4] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، مرجع سابق، ص 10.

[5] السيوطي، المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، دار الجيل، بيروت، ج1، د ت، د ط، ص 346.

أما في طريقة معرفته فتُقلب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروفًا غالباً، وللاشتقاق نوعان حسب ما ذكره القدماء والمحدثون: "الاشتقاق الأصغر وهو أكثر دلالة وحروفًا وهو الاشتقاق المحتجُّ به، أما الاشتقاق الأكبر والكبير فيحفظ فيه المادة دون الهيئة ويقوم على تقليب الحروف، ولا يصّح أن يُستنبط به اشتقاقٌ في لغة العرب"[1].

أما الإعلال فهو "تغيير حرف العلة للتخفيف بقلبه أو إسكانه أو حذفه أو نقل حركته"[2]: فإما أن يكون إعلالاً بالقلب مثل قلب الألف ياء نحو: (مصباح ومفتاح فنقول فيهما مصابيح ومفاتيح ومُصيبح ومُفيتح)، هذا إذا انكسر ما قبلها،،، وقلب الألف واوًا مثل (كبُويع، وحُروب أصلهما بايع وحارب) أو إما يكون إعلالًا بالإسكان وإعلالاً بالحذف أو إعلالاً بالنقل أي نقل حركة حرف العلة[3].

أما الإبدال فهو "جعل مطلق حرف مكان آخر أي جعل حرف مع صنع حرف آخر، لتسهيل النطق وازالة الثقل، فكل إعلال بالقلب يقال له إعلال[4]."

وأما الادغام فهو "إدخال الشيء في الشيء وإسكان الحرف الأول وإدراجه في الثاني، ويسمى الاول مدغمًا والثاني مُدغمًا فيه"[5]. وهو النطق بحرفين مثلين متقاربين من مخرج واحد مثل مدّ وعدّ، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشددًا، "وينقسم الادغام إلى ثلاثة أقسام: (واجب، جائز، ممتنع) وذلك كله يتوقف على شكل الحرفين المثلين[6]."

---

[1] المزهر، ص 347 (بتصرف).

[2] عبد العزيز عتيق، علم النحو والصرف، مرجع سابق، ص 103.

[3] المرجع نفسه، ص 107.

[4] المرجع نفسه، ص 103.

[5] الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص 15.

[6] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، مرجع سابق، ص 204.

"فاللغة العربية محظوظة جداً بوجود هذه الصيغ الصرفية، لأن هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق، ويشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذي به يمكن أن تحدد الكلمات[1]."

ثالثا: علم النحو

1: مفهوم النحو

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: "يقال: نَحْوتُ نحْوكَ أي قصدتُ قصدك[2]."

اصطلاحا: النحو عند ابن جني هو "انتحاء سَمْتِ كلام العرب، في تصرفهِ من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو أن شذ بعضهم عنها[3]."

وعرفه الشريف الجرجاني بقوله: "هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل النحو: علم يعرف به أحوال الكلام من حيث الإعلال، وقيل: علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده[4]."

ويعدّ علم النحو دعامة العلوم العربية، نشأ في العراق تحت ضوء مدرستي البصرة والكوفة، وقد "روت كتب الأدب والتراجم على سبيل اليقين أن هذا العلم كان يعرف بعلم العربية في عصر أبي الأسود الدؤلي، وكان ذلك في عهد الطبقة الثانية، فقد اشتهرت عنها مؤلفات اتسمت بأنها نحوية، وصرح فيها باسم النحو[5]."

---

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 176.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (ن ح ا).

[3] ابن جني، الخصائص، مطبعة الهلال، مصر، ج1، 1913م، د ط، ص32.

[4] الشريف الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص 202.

[5] محمد الطنطاوي، نشأة النحو، مرجع سابق، ص 33 (بتصرف).

فوُضع هذا العلم بُغية الحفاظ على القرآن من الخطأ واللحن، وأول ظهور كان في الإعراب قال (أبو الطيب): "واعلم أن أول من اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم: الإعراب، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي و المتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم[1]."

والنحو العربي نشأ فناً قبل أن يكون علمًا، أي أن طرق الأداء في اللغة مرنت عليها ألسنة العرب، "ولهذا فهم استبعدوا تمامًا ما يقوله (ابن فارس) من أن علم النحو في اللغة العربية قديم بقدمها ومنزل بتنزيلها، وأنه كان مدروسًا ومعروفًا منذ القديم، حتى انتشرت قواعده وجاء (أبو الأسود الدؤلي) فأحيا ما اندثر منه"[2].

وقد اختلف العلماء في أول من وضع النحو، فهناك "من زعم أن أول من وضعه هو (عبد الرحمان بن هرمز الأعرج)، وزعم آخرون أنه (نصر بن عاصم) وغيرهم...، إلى أن وصلوا إلى (أبي الأسود الدؤلي)، بعد أن أخذ النحو من علي بن أبي طالب[3].

ويروى أيضا أن (أبا الأسود الدؤلي) قالت له ابنته: (ما أحسنُ السماء) بضم أحسنُ تريد التعجب ولكنه فهم الاستفهام قال لها: (نجومُها)، فقالت له يا أبتِ: إنما أُخبرك ولم أسألك، فقال لها: إذن قولي (ما أحسنَ السماء) بالنصب فحينئذ وضع النحو، وأول ما رسم منه باب التعجب[4].

أعطت الدراسات القديمة لعلم النحو عناية بالغة وكبيرة فظهرت مدرسة البصرة حيث عمل البصريون على تنمية النحو وإكمال أبوابه، وتفصيل مسائله في مدينتهم البصرة "كما استعمل البصريون القياس وفضلوه وآمنوا بسلطانه، حيث إذا رأوا لغتين أحدهما تسير على القياس والأخرى لا تسير عليه، فضلوا الأولى التي تسير على القياس[5]."

---

[1] محمد الطنطاوي، مرجع سابق، ص 16.

[2] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مرجع سابق، ص 82.

[3] محمد الطنطاوي، نشأة النحو، مرجع سابق، ص 26.

[4] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مرجع سابق، ص 84.

[5] عبد العزيز عتيق، علم النحو والصرف، مرجع سابق، ص 32.

أما أصحاب المدرسة الكوفية فهم أيضا عملوا على بناء النحو من كل جوانبه، "فرأوا احترام كل ما جاء عن العرب، وأجازوا للناس أن يستعملوا استعمالهم، حتى ولو كان الاستعمال شاذاً لا ينطبق على القواعد العامة بل إنهم يجعلون هذا الشذوذ أساسًا لوضع قاعدة عامة[1]."

ومن أشهر علماء النحو في البصرة: (الخليل، سيوبه، المبرد، أبو عمرو بن العلاء، ابن أبي إسحاق الحضرمي، عيسى بن عمرو الثقفي)، أما علماء المدرسة الكوفية: (الفراء، معاذ الهراء، يونس بن حبيب...)[2].

وكانت دراسة النحو تسير على حسب الطريقة المعروفة في تلك العصور، كالتلقي الشفهي فكان المتعلم يأخذ عن أستاذه ما يلقيه مشافهة، والطريقة الأخرى المقرونة بالإملاء، وذلك بما يأخذ المتعلم عن أستاذه بما يمليه أو بالقراءة، أي ما يقرأ من كتب بشرح عباراتها، وهكذا كانت الطريقة في دراسة النحو[3].

بهذا يعد النحو دعامة العلوم العربية، وأصبح العرب" يعظمون النحو والنحاة حتى ذهب بهم الأمر إلى تسمية كتاب (سيبويه) "الكتاب" أو وصفه بأنه قرآن النحو[4]."

رابعا: علم الدلالة

1: مفهوم الدلالة:

لغة: "الدِّلالةُ والدَّلالةُ: ما جعله للدَّليل أو الدَّلَّالِ، وقال ابن دُريد: الدلالة بالفتح حِرفةُ الدَّلالِ، ودليلٌ بين الدلالةِ بالكسر لا غير[5]."

---

[1] المرجع نفسه، ص 32.

[2] المرجع نفسه، ص 37.

[3] المرجع نفسه، ص 34 (بتصرف).

[4] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م، ط2، ص 37.

[5] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (د ل ل).

اصطلاحا:

يُعرف علم الدلالة على أنه (دراسة المعنى) أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى[1].

وأطلق على هذا العلم عدة أسماء؛ بعضهم يسميه (علم الدلالة)، وبعضهم يسميه (علم المعنى) دون استخدام صيغة الجمل كقول علم المعاني لأن هذا الأخير فرع من فروع البلاغة[2].

كما اهتم العديد من العلماء بالدلالة ومن بينهم "اللسانيون الأمريكيون في العهد البلومفيلدي اهتموا بدراسة اللغات من الناحية المعجمية، والصوتية والنحوية. كما أنهم لم يلتفتوا إلى دراسة المعنى نظرًا لما يحيط به في رأيهم من مزالق ومخاطر قد تؤدي بهم إلى الابتعاد عن الدراسة العملية[3]."

ولم تشهد الدراسات اللسانية أي تقدم إلا في الستينيات بعد رواج القواعد التوليدية التحويلية، وعلم النفس اللغوي، ونظرية الاتصال ... وغير ذلك. وهكذا بدأ الاهتمام والاعتناء بدراسة الدلالة، لأن النظرية اللسانية العامة لا يمكنها أن تعتمد على الجوانب الصوتية والنحوية فحسب وإنما يمكنها الاعتماد على الجانب الدلالي[4].

أما العرب فقد اهتموا منذ القديم بالدلالة حيث برز الأصوليون في دراسة اللفظة ودلالاتها و"الذين عقدوا أبوابًا للدلالة في كتبهم تناولت موضوعات مثل دلالة اللفظ، ودلالة المنطوق، دلالة المفهوم، تقسيم اللفظ بحسب الظهور والخفاء، الترادف والاشتراك..."[5]

---

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ط5، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 11.

[3] أحمد مومن، اللسانيات والنشأة والتطور، مرجع سابق، ص 239.

[4] المرجع نفسه، ص 239.

[5] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص 21.

أما اهتمامات اللغويين فتمثلت في "البحوث الدلالية التي امتلأت بها الكتب مثل المقاييس لابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، الخصائص لابن جني، المزهر للسيوطي ..."[1]

وأيضا من الموضوعات التي يتناولها هذا العلم:

-البنية الدلالية للمفردات اللغوية.

-العلاقة الدلالية بين المفردات كالترادف والتضاد.

-المعنى الكامل للجملة والعلاقات القواعدية بينها.

-علاقة الألفاظ اللغوية بالحقائق الخارجية التي تشير إليها وهو ما يدرس في علم الدلالة الإشاري[2].

[1] المرجع نفسه، ص 21.

[2] محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، مرجع سابق، ص 17.

الفصل الأول:

المباحث اللسانية الكبرى في اللغة العربية

1- المبحث الأول: التعريف بالمؤلف (السيوطي)

2- المبحث الثاني: نشأة اللغة

3- المبحث الثالث: فصاحة اللغة

المبحث الأول: ترجمة جلال الدين السيوطي

1- حياته:

هو عبد الرحمان بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخُضيري الأسيوطي.[1]

ويزيل السيوطي الغموض عن النسبة التي تنتمي إليها عائلته، وهي عائلة الخضيري، فيقول: "وأما نسبتنا بالخضيري، فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلاّ الخضيرية محلة ببغداد. وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي – رحمه الله تعالى – يذكر أن جده الأعلى كان أعجميا أو من الشرق، فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة"[2]

أما بالنسبة إلى السيوطي فلم ينس أن يبين لنا الأوجه اللغوية في هذه النسبة، فيقول في كتابه "لب الألباب": " الأسيوطي بضم أوله والتحتية، وسكون السين نسبة إلى أسيوط، ويقال: سيوط: بلد بصعيد مصر.[3]

وقد ولد السيوطي بعد المغرب ليلة الأحد، مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة 849هـ، ونشأ يتيما وحفظ القرآن وله ثمان سنين، ثم حفظ العُمْدة ومنهاج الفقه، والنحو عن جماعة من الشيوخ، وقد أجيز بتدريس اللغة العربية مستهل سنة ست وستين وثمانمائة 866هـ. وقد بدأ التأليف في هذه السنة، وكان أول شيء ألفه شرح الاستعاذة والبسملة، وأوقف عليه شيخه علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريظا ولازمه في الفقه إلى أن مات[4].

---

[1] المزهر، ص3

[2] المرجع نفسه، ص 4

[3] عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م، ط1 ، ص123

[4] المزهر، ص11

ولما بلغ السيوطي خمسة عشر عامًا تقريبًا بدأ بالاشتغال بالعلم ثم انتقل إلى مرحلة التلقي والأخذ وهي مرحلة أهم سماتها الفهم والإدراك والاستيعاب للقضايا العلمية في ضوء الشرح والتحليل.[1]

وبعد وفاة البلقيني سنة ثمان وسبعين وثمانمائة 878هـ، لزم السيوطي شيخ الإسلام شرف الدين المناوى، فقرأ عليه قطعة من المنهاج،،، وسمع دروسًا من شرح البهجة ومن حاشية عليها، ومن تفسير البيضاوي.[2]، كما حضر أيضًا دروسًا متعددة في "الكشاف" والتوضيح وحاشيته عليه، وتلخيص "المفتاح" و"العضد" على الشيخ سيف الدين الحنفي. أما شيخه محي الدين الكافيجي فقد لزمه أربع عشرة سنة ولعل السبب في ذلك أن الكافيجي واسع الثقافة، عميق التفكير، مستوعب لعلوم عصره في اللغة والأصول والتفسير والعربية والمعاني وغير ذلك من الفنون المختلفة التي برز فيها.[3]

وتعد هذه المعارف الواسعة والعلوم المتعددة والفنون المختلفة لَبِناتٍ في صرح السيوطي العلمي فمن نسيجها تكونت شخصيته، ومن معينها لمع نجمه، وسطعت شهرته، ومن حقه أن يعطي ما أخذ وأن يعلم ما تعلم، وأن يتصدر كما تصدر شيوخه من قبل، ولإحساس شيوخه بنبوغه أجازوه بتدريس اللغة العربية، وسنه لا تتجاوز سبعة عشر عاما 17، أي أن السيوطي جلس معلمًا وشيخًا في هذه السن مما يدل على عبقرية مشتعلة ونبوغ عظيم.[4]

2 – مؤلفاته:

مؤلفات السيوطي كثرت وفاضت حتى ملأت المكتبة الإسلامية والعربية، حيث لم يترك شيئًا إلا وكتب فيه، ولم يطرق بابا من أبواب المعرفة إلا وفتح هذا الباب على مصراعيه.

[1] عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية، مرجع سابق، ص127

[2] المزهر، ص12

[3] عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية، مرجع سابق، ص128

[4] المرجع نفسه، ص128

كتب في كل فن، وأبدع في كل علم، [1]وشرع في التصنيف سنة ست وستين وثمانمائة وبلغت مؤلفاته إلى ثلاثمائة كتاب سوى ما غسله وما رجع عنه، فقد عدّ منها في حسن المحاضرة في التفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، والأجزاء المفردة والعربية، والآداب.[2]

عدّ له الأستاذ "بروكلمان" 415 مصنفًا بين مطبوع ومحفوظ، والعلامة "فلوغل" 560 مصنفاً، وذكر له الأستاذ جميل بك العظم 576 مصنفًا بين كتب كثيرة ورسائل ومقامات، وذكره ابن إياس فيمن توفِّي في عمر الغوري وقال: بلغتْ مؤلفاته ستمائة 600 مؤلفا، وقال الشعراني في ذيْل طبقاته: له من المؤلفات أربعمائة وستون 460 مؤلفًا مذكورة في فهرس كتبه.[3]

ومن أهم مؤلفات السيوطي نجد: "الإتقان في علوم القرآن"، "الدر المنثور في التفسير المأثور"، "ترجمان القرآن في التفسير"، "أسرار التنزيل"، "لباب النقول في أسباب النزول"، "المهذب فيما وقع القرآن "، "الاكليل في استنباط التنزيل"، "تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلّى"، "التحبير في علوم التفسير"، "حاشية على تفسير البيضاوي"، "مفاتيح الغيب في التفسير"، الأزهار الفائحة على الفاتحة"، "شرح الاستعاذة والبسملة"، "الكلام على أول الفتح"، "الألفية في القراءات العشر"، "القول الفصيح في تعيين الذبيح"، "المزهر في اللغة"، "خمائل الزهر في فضائل السور"...[4]

3- وفاته: توفي السيوطي ليلة الجمعة 19 جمادى الأولى لسنة 911هـ الموافق لـ 18 من أكتوبر 1505م، وكان مرضه سبعة أيام بورم شديد في ذراعه اليسرى، وقد استكمل من العمر إحدى وستين وعشرة أشهر وثمانية عشر يومًا، وكان له مشهد عظيم ودفن بحوش فوصون خارج باب القرافة وقبره ظاهر وعليه قبة.[5]

---

[1] عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية ، مرجع سابق، ص187

[2] المزهر، ص13

[3] المرجع نفسه، ص15

[4] عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية، مرجع سابق، ص204

[5] المزهر، ص19

المبحث الثاني: نشأة اللغة

1-مفهوم اللغة:

لغة: جاء في لسان العرب: "اللُغة من لغا يلغو، على وزن فُعلة من لَغوتُ، أي تكلمتُ، أصْلها لُغوةٌ كَكُرةٍ وقُلَّةٍ وثُبةٍ، كلها لامات واواتٌ، ومادة اللغو في لسان العرب الكلامُ غير المعقودِ عليه".[1] وجاء في المفردات في غريب القرآن: "يقالُ لَغِيتَ تَلْغَى نحو لَقِيتَ تَلْقَى"، وقد يُسمَّى كلُّ كلامٍ قبيح لغواً قال: "لا يَسْمعُونَ فيها لغوًا ولا كذابًا"[2]

اصطلاحا:

يختلف تعريف اللغة ومفهومها عند العلماء قديمًا وحديثًا، وليس هناك اتفاق شامل ومحدد لمفهوم اللغة وذلك بسبب تعدد تعاريفها وارتباطها بالكثير من العلوم، ومن أهم التعريفات نذكر: قول" ابن جني" في (الخصائص): "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3] ، أي أن اللغة ظاهرة صوتية وعبارة عن رموز صوتية يتم من خلالها التواصل بين أفراد المجتمع وهي وسيلة للتعبير عن أغراضهم وحاجاتهم فيما بينهم.

وعرف "تشومسكي" اللغة في كتابه (البنى التركيبية) قائلاً: "من الآن فصاعدًا سأعد اللغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر...وأن كل لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات أو الحروف"[4]

أما "إدوارد سابير": فيرى: "أن اللغة وسيلة إنسانية خالصة وغير غريزية إطلاقاً" أي أن اللغة نظام بشري غير غريزي لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (ل غ ا)

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعارف، القاهرة، د ت، د ط، (ل، غ ا)

[3] ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، مصر، 1952م، ج1، د ط، ص33

[4] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص209.

التي تصدر بطريقة إرادية".[1]

وأيضا اللغة هي مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر.[2]

2- نشأة اللغة:

كان البحث عن أصل اللغة الإنسانية الأولى من أقدم المشاكل الفكرية التي جابهت الباحثين والمفكرين، فقضية اللغة وأصل نشأتها ليست قضية لغوية فحسب، وإنما هي داخلة في نطاق البسيكولوجيا والأنثروبولوجيا، والفلسفة[3] حيث أصبحت هذه القضية موضوعًا للنقاش والتحليل وتعددت الآراء واختلفت مذاهب العلماء، حول موضوع نشأة اللغة، ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية، بل كان جل آرائهم يصطبغ بالصبغة الشخصية ولم يتجاوز مرحلة الفرض المبني على الظن والحدس.[4]

وانتهت التفكير في نشأة اللغة إلى نظريات عدة أهمها:

أولا: النظرية التوقيفية (الإلهام والوحي):

ترى هذه النظرية أن اللغة وحي من الله تعالى، وأنه تعالى أوحى إلى الإنسان الأول وعلّمه أسماء كل شيء وعلّمه النطق، ودليل ذلك قوله تعالى: "وعَلّم آدَم الأسماء كُلها، ثم عَرضَهُمْ على المَلائِكة"[5](البقرة 31)، واعتبروا هذا الدليل الشرعي نصًا واضحًا على أن اللغة غريزة وإلهام وموهبة فطرية وتوقيفٌ من الله تعالى.

---

[1] نور الدين بليبل، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، سلسلة كتاب الأمة، عدد84، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، 2001، ط1، ص47

[2] أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ط2، ص08

[3] توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1980م، ط1، ص49

[4] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ط3، ص109.

[5] سورة البقرة، الآية 31.

يقول "ابن فارس" في (الصاحبي): "إنّ لغة العرب توقيف ودليله قوله تعالى: "وعلّم آدم الأسماء كُلها"، فكان "ابن عباس" يقول: علّمه الأسماء كلها وهي هذه التي يتعارفُها الناس من دابةٍ وأرضٍ وسهل وجبلٍ، وجمل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها"[1]

كما يستند أصحاب هذا المذهب إلى أدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة، فاليهود والنصارى يستدلون بما ورد في التوراة كقولها: "وجبل الربُّ الإلهُ من الأرض كل الحيوانات البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها ابن آدم، ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية، فهو اسمها فسمى آدم جميع البهائم، وطيور السماء وجميع حيوانات البرية" [2]

وارتضى هذه النظرية أيضا:

"أبو عثمان الجاحظ" حيث قرر أن الله سبحانه وتعالى أنطق نبيه إسماعيل بالعربية، دون سابق تمهيد أو تعليم، يقول "وقد جعل الله إسماعيل وهو ابن أعجمين عربيًا، لأن الله لما فتق لسانه بالعربية المبنية على غير التلقين والترتيب، وفطره على الفصاحة العجيبة، وسلخ طباعه من طبائع العجم...ومنحهُ من أخلاقهم وشمائلهم، وطبعهُ من كرمه وأنفتهم وهممهم على أكرمها، وأشرفها وأعلاها وجعل ذلك برهانًا على رسالته، ودليلاً على نبوته وصار أحق بهذا النسب وأولى بشرف ذلك الحسب".[3]

ويقول ابن فارس: "ولعل ظانًا يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد، وليس الأمر كذلك، بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء الله أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علّم بعد آدم عليه السلام نبياً ما شاء الله أن يعلُمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه

[1] ابن فارس الصاحبي، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1993م، ط1، ص32

[2] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص 110

[3] توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، مرجع سابق، ص51.

وآله وسلم، فآتاه الله عز وجل من ذلك ما لم يؤتهِ أحدًا قبله تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة، ثم قرّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت".[1]

ويقول ابن حزم الأندلسي: " والصحيح من ذلك أن أصل الكلام توقيف من الله عز وجل بحجة السمع والبرهان الضروري، فأما السمع فقول الله عز وجل: "وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة"[2]. وأما البرهان الضروري: فهو أنّ الكلام لو كان اصطلاحا لما جاز أن يصطلح عليه إلا قوم قد كملت أذهانهم، وتدربت عقولهم وتمت علومهم، ووقفوا على الأشياء كلها الموجودة في العالم، وعرفوا حدودها، واتفاقها، واختلافها، وطبائعها. وبالضرورة نعلم أن بين أول وجود للإنسان وبين بلوغه هذه الصفة سنين كثيرة جداً يقتضي في ذلك تربية وحياطة وكفالة من غيره"[3]

وكان "ابن جني" يرى في بداية الأمر أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف، ولكنه قال في آخر الأمر أن أبا علي رحمه الله قال له إنها من عند الله، واحتج بقوله سبحانه: "وعلم آدم الأسماء كلها" فقوى ذلك الاعتقاد في نفس ابن جني.[4]

وعلى كل فهذه النظرية كانت اتجاهاً دينيًا، ربطت خلق الإنسان على النمط البديع بخلق اللغة الفذة وأدى ذلك الاتجاه إلى اتجاه آخر فلسفي حاول أن يضع نظريات أخرى، على طريق يلتمس الأسباب والعلل للوصول إلى الصواب على أسس منهجية.[5]

---

[1] ابن فارس الصاحبي، مرجع سابق، ص37.

[2] سورة البقرة الآية 31.

[3] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، مصر، ج1، د ت، د ط، ص29.

[4] ابن الجني، الخصائص، مرجع سابق، ص40.

[5] توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، مرجع سابق، ص.53

ثانيا: النظرية التوفيقية (الاتفاق والمواضعة والاصطلاح):

يرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة نشأت من اتفاق بين الأفراد في المجتمع، حيث يتفقوا على إطلاق مسميات معينة على بعض الأشياء ويصطلحون عليها بالألفاظ.

وذهب إلى هذا المذهب "ابن جني" بقوله إن "أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدًا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سِمة ولفظًا يدل عليه ويغنى عن إحضاره أمام البصر، وطريقة ذلك أن يقبلوا على واحد من بني آدم، ويؤمنوا إليه قائلين (إنسان)، فتصبح هذه الكلمة اسمًا له، وإن أرادوا سِمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك العضو، فقالو: يد، عين، رأس، قدم، ...الخ"[1] ويسيرون على هذه الوتيرة، في أسماء بقية الأشياء، وفي الأفعال والحروف وفي المعاني الكلية، والأمور المعنوية نفسها، وبذلك تنشأ اللغة[2].

"ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها فتقول: الذي اسمه إنسان فليجعل مكانه (مرد)، والذي اسمه رأس فليجعل مكانه (سرْ) وعلى هذا بقية الكلام، وكذلك لو بدأت اللغة الفارسية فوقعت المواضعة عليها وهكذا فتنشأ اللغة الفارسية".[3] ومثل ذلك "ما نشاهده الآن من اختراعات الصّناع لآلات صنائعهم من الأسماء: كالنّجار، والصائغ الحائك والبناء، وكذلك الملاح، ولكن لا بد لأوّلها من أن يكون متواضعًا بالمشاهدة والإيماء"[4].

وقد نقد "ابن حزم" هذه النظرية بقوله: إن "الاصطلاح على وضع لغة لا يكون ضرورة إلا بكلام متقدم بين المصطلحين على وضعها أو بإشارات قد اتفقوا على فهمها، وذلك الاتفاق

[1] ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص44

[2] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص111

[3] ابن جني. الخصائص، مرجع سابق، ص44

[4] المرجع نفسه، ص45

على فهم تلك الإشارات لا يكون إلا بكلام ضرورة، ومعرفة حدود الأشياء وطبائعها التي عبر عنها بألفاظ اللغات لا يكون إلا بكلام وتفهيم لابد من ذلك"[1].

وللعلم فإن "ابن جني" كان يتبنى موقف الاصطلاح، ثم تراجع عنه وأصبح يؤمن بأن اللغة توقيف من الله تعالى يقول: "اعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغول على فكري، وذلك أنني إذا تأمّلت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقة، ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، ..وانصاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله عز وجل، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توفيقًا من الله سبحانه وأنها وحي".[2]

وليس لهذا المذهب أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي، بل إن ما يقرره ليتعارض مع النواميس العامة، التي تسير عليها النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً، ولا تخلق خلقاً بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها هذا إلا أن التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون، وهكذا نرى أن ما يجهله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة، يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل.[3] وهذه النظرية تفسر جانباً من نشأة اللغة لكنها لا تفسر اللغة قبل اجتماع هؤلاء الحكماء وفي حياة السذج والبسطاء.[4]

ثالثا: نظرية المحاكاة

تذهب هذه النظرية إلى أن أصل اللغة ونشأتها بدأت محاكاةً لأصوات الطبيعة وتقليدًا للأصوات المسموعة (أصوات الرياح، الحيوانات، المياه والأشياء...) نتيجة تفاعل الإنسان مع

[1] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مرجع سابق، ص30

[2] ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص47

[3] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص112

[4] توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، مرجع سابق، ص54

الأحداث وضرورة تواصله مع بني جنسه، فنشأت ونمت اللغة وتكونت بصورة تراكمية تبعًا للزمان وحاجة الإنسان لها.

وتعرف هذه النظرية باسم نظرية "البو–واو"Bow–Wow"، واضعها ماكس ميلر اللغوي الشهير، ومفادها أن جرس الكلمة يدل على معناها[1]. وقد أشار العرب لهذه النظرية بطريقة غير مباشرة عندما تكلموا عن حكاية الصوت، وقد أدى إلى وضع هذه النظرية ورود كلمات عديدة، في كل لغة لفظها يدل على معناها مثل (الرنين والزقزقة والغنة والقهقهة وغير ذلك...)[2]

وقد تعرض لهذه النظرية من علماء المسلمين ابن جني حيث قال. إن" أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، وصهيل الفرس... ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"[3]

فالإنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها، أو بعبارة أخرى أن تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعة صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء، وتسمى مثل هذه الكلمات عند علماء الغرب ب: "Onomatopoeia "[4]

ويقول رمضان عبد التواب: "يمتاز مذهب المحاكاة بأنه شرح لنا مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ بالبيئية التي تحيط به، غير أن أهم ما يأخذ عليه أنه يحصر أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة، ويتجاهل الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس تلك الحاجة التي هي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية".[5]

---

[1] أنيس فريحة، نظريات في اللغة، مرجع سابق، ص19

[2] المرجع نفسه، ص17

[3] ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص47

[4] رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص112

[5] المرجع نفسه، ص114

ويقول: "فان الرغبة الذاتية في التعبير، والحاجة الماسة إلى التفاهم، كلاهما من أهم الدوافع التي يجب أن يعتد بها في نشأة اللغة واضطرار الإنسان الأول للنطق بالألفاظ "[1]. ويضيف رمضان عبد التواب: "مما قد يؤيد هذه النظرية ما نجده في بعض الأحيان، من اشتراك في بعض الأصوات، في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات مثال الكلمة التي تدل على(الهمس) هي في اللغة العربية كما نعرف (همس)، وفي الإنجليزية (Whisper) وفي الألمانية (Flustern) وفي العبرية (صفْصَفْ) وفي الحبشية (فاصى) وفي التركية (سُوسْمَكْ). فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعها في تلك الكلمة هو صوت الصفير: السين أو الصاد وهو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة "[2].

وقد أشار الكثير من العلماء إلى أن للحروف معنى مثلا: "حرف (الحاء) يدل على الانبساط والسعة والراحة، وحرف (الغين) يدل على الظلمة والانطباق والخفاء والحزن"[3]. وأول من دافع عن هذا المذهب من علماء الغرب بالتفصيل العالم الألماني (هَرْدر) في كتابه "بحوث في نشأة اللغة" الذي نشره سنة 1772...[4]

"والاعتراض على هذه النظرية ينصب على أنها جعلت الإنسان في الوضع الثاني بالنسبة للحيوان ومعلماً له، وقد دافع (جسبرسن) عن هذا بأن الأصوات التي تصدر عن الحيوان وغيره إنما يقصد منها شيء محدود من الإنسان وهو الدلالة على مصدرها، بينما لا يقصد منها شيء حيث صدورها عن مصدرها الأصلي"[5].

[1] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، المرجع نفسه، ص114

[2] المرجع نفسه، ص113.

[3] أنيس فريحة، نظريات في اللغة، مرجع سابق، ص19.

[4] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص112.

[5] توفيق شاهين، علم اللغة العام، مرجع سابق، ص56.

رابعا: النظرية الفطرية (الاستعداد الفطري)

يقول أصحاب هذه النظرية بأن الإنسان خُلق على الفطرة أي أن الله خلقه مفطورًا على القدرة على التكلم والتعبير عن انفعالاته، ووهبه غريزة التعلم "وهذه الغريزة الخاصة زُوّد بها النوع الإنساني وبها استطاع كل فرد أن يُعبّر عن الانفعالات والمدركات بصورة طبيعية وتأثر فطري في صورة حركات وأصوات صادرة عن دهشة أو فرح أو حزن أو ألم، أو استغراب ...الخ"[1]

وصاحب هذه النظرية هو (ماكس مولر)، ودعاها نظرية (دينج دونج) (Ding Dong)، ومفادها "أن الإنسان مُزّود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة كما أنه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه بأية وسيلة من الوسائل، إلا أن هذه القدرة على النطق بالألفاظ لا تظهر آثارها إلا عند الحاجة أو في الوقت المناسب"[2]، لكن محمد شاهين يرى أنه: "حينما نشأت اللغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة، وانقرضت شيئا فشيئا"[3]

ويقول رمضان عبد التواب: "ولعل الذي دعا مكس موسر إلى وضع هذه النظرية، ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة التي تدل على أنهم تواقون إلى وضع أسماء للأشياء التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء، وأنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل، وذلك لإرضاء رغبتهم الفطرية في التكلم والتعبير عن أغراضهم فاستنبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة التي تنشأ عنها الألفاظ"[4]، وهذا دليل على أن الإنسان يعبر عن المدركات بصورة فطرية.

واعترض على هذه النظرية بأنها قد توقعنا في نظرية الغرائز المعقدة، وأن الأصوات الصادرة عنها فجائية منعزلة عن الكلام الذي يصدر إراديًا"[5]. لذلك يقول (جسبرسن **إن**): "الأصوات

---

[1] المرجع نفسه، ص56.

[2] رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص116.

[3] توفيق شاهين، علم اللغة العام، مرجع سابق، ص56.

[4] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص117.

[5] توفيق شاهين، علم اللغة العام، مرجع سابق، ص 56.

الناجمة عن تلك الانفعالات كما نشاهد الآن، لا ترتبط بمظاهر النشاط اللغوي، ولكنها نشاط صوتي قد تكون بعيدة عن سياق الحديث وغير خاضعة للقواعد اللغوية"[1]

الرأي الشخصي:

وبعد البحث والتعمق وتحليل نظريات نشأة اللغة يتضح لنا أن النظرية التوقيفية (نظرية الوحي والإلهام) هي الأقوى والأصح، بدليل النص القرآني: "وعلّم آدم الأسماء كلها"،[2] البقرة(31). فهي إذن عبارة عن أصوات وألفاظ أوحاها الله تعالى لآدم للتكلم والتواصل بها وتحقيق التفاعل.

المبحث الثالث: فصاحة اللغة

أولا: مفهوم الفصاحة

1- في معاجم اللغة: تبين لنا من استقراء مادة (ف، ص، ح) في معجمات اللغة أن أصلها الذي فرعت منه هو الخلوص والنقاء، وأن هذه الدلالة تربط مفردات المادة كلها،[3] ويتجلى ذلك في الاستعمالات التي وردت فيها تلك المادة وهي:

- يقول الجوهري في معجمه الصحاح: " رجلٌ وكلامٌ فصيحٌ، أي: بليغٌ ولسان فصيحٌ، أي طلْقٌ، ويقال كل ناطق فصيح، ومالا ينطلق فهو أعجم"[4].
- وجاء في لسان العرب: "الفصاحة: البيان، فَصُحَ الرَّجل فصاحة، فهو فصيحٌ من قومٍ فُصحاء وفِصاحٍ وفُصُحٍ. وفَصُح الأعجميُّ. بالضمِ فصاحةً: تكلم بالعربية وفُهِم عنه"[5]،
- ويقال: "الفصاحة الظهور والبيان، منها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته، وفصح فهو فصيح، قال الشاعر: وتحْتَ الرَّغْوةِ اللَّبنُ الفصيحُ، ويقال أفصح الصبح إذا بدا ضوؤه، وأفصح كل

---

[1] المرجع نفسه، ص57.

[2] سورة البقرة الأية 31.

[3] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2006، ط1، ص11

[4] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (ف ص ح)

[5] الجوهري، الصحاح، دار الحديث، القاهرة، د ط، (ف ص ح)

شيء إذا وضح"[1].

- وجاء في المفردات في غريب القرآن: "فصح الفَصْحُ: خلوص الشيء مما يشوبهُ، وأصله في اللبن، يقال فصَّح اللبن وأفْصَح فهو مُفصِحٌ وفصّيحٌ إذا تعرَّى من الرغوةِ"[2]

فالمعنى العام للمادة (ف، ص، ح) هو النقاء والصفاء.

2- في القرآن الكريم:

لم ترد مادة (فصح) في القرآن الكريم إلا في موضع واحد بصيغة التفضيل، على لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى: " وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا فأرسله معي رِدْءاً يُصدِقُني إني أخاف أن يكذبونِ".[3] قال أبو عبيدة: وقوله: "هو أفصحُ منِّي لساناً ... " لأن موسى كانت في لسانه عقدة وحبسة في بيانه [4]. ويقول الجاحظ: "وسأل الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام حيث بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته، والإبانة عن حجته، والإفصاح عن أدلته، فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه والحُسبة التي كانت في بيانه".واحْلُلْ عُقدةً من لساني يفقهوا قولي "[5]، وقال موسى صلى الله عليه وسلم: "وأخي هارون أفصح مني لساناً فأرسله معي رِداءًا يُصدقني"[6]. وقال: "وتضييق صدري ولا يَنطلِقُ لساني"[7]، رغبة منه في غاية الإفصاح والحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة ولا شك أن غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح هذه الدلالة[8] " تستدعيان خلوص اللسان مما يعيقه عن ذلك.[9] ومعنى: "وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا" أي أحسن بيانا عما يريد أن يبينه، فموسى عليه السلام يخاف أن يأتي

---

[1] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مكتبة الخانجي، مصر، تحقيق علي فوده، ط1، 1932م، ص55

[2] المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، (ف ص ح)

[3] سورة القصص، 34

[4] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص16

[5] سورة طه، 28

[6] سورة القصص، 24

[7] سورة الشعراء، 13

[8] الجاحظ، البيان والتبين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، 1998، ط6، ص7

[9] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص16

قوم فرعون ولا يبين، لوجود العقدة في لسانه بينما كان أخوه هارون أحسن بيانا لخلوص لسانه خلوصا تاما"[1].

والفصاحة عند أهل المعاني "عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حُسنها، وهي تقع وصفًا للكلمة والكلام، والمتكلم حسب ما يعتبر الكتاب اللفظة وحدها أو مسبوكة مع أخواتها"[2].

ثانيا: فصاحة قريش

للوقوف على المقصود بالفصاحة في لهجة قريش نذكر أن اللهجة تعني (اللسان وجرس الكلام، يقال فلان فصيح اللهجة، واللهجة لغته التي جبل عليها واعتادها، ونشأ عليها)، فهي أسلوب أداء الكلمة إلى السامع من مثل أمانة الفتحة والألف أو تفخيمها...

وما يتعلق بالأصوات وطبيعتها، وكيفية صدورها وأن هناك لهجات لقبائل عربية متعددة اصطلح على تسميتها باللهجات المذمومة، فمعنى فصاحة لهجة قريش خلوصها من تلك اللهجات المذمومة خلوصًا تامًا، فهي أفصح اللهجات بإجماع العلماء[3] ومن اللهجات المذمومة نذكر:

أ-**الشنشنة:** وقد سماها علماء العربية بـ "شنشنة اليمن" وهي قلب الكاف مطلقًا إلى الشين، وسمع بعضهم يقول في عرفة "لبيش اللهم لبيش" أي لبيك اللهم لبيك، ولازالت هذه (الشنشنة) موجودة في اللهجات اليمنية الحديثة والمهرية والسقطرية وبعض مناطق ظفار فالكاف انتقلت من مخرجها وهو أقصى اللسان إلى وسطه وهو مخرج الشين.[4] على نحو ما نسمع اليوم في لهجة أهل العراق والخليج في قولهم(جبير) في (كبير)[5]

---

[1] المرجع نفسه، ص 16

[2] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، صيد، بيروت، د ت، د ط، ص19

[3] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص24

[4] أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، 1983م، ط جديدة، ص362

[5] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص25

ب-الكشكشة: بعض اللغويين يرى أن الكشكشة لتميم أو بكر بن وائل أو أسد،[1] فقال قوم: "إنهم يبدلون الكاف شينًا فيقولون (عليش) بمعنى (عليك) وقال آخرون: يصلون بالكاف شينًا فيقولون: عليكش"[2]

ج-الكسكسة: بعضهم يرى أنها لغة بكر بن وائل، وهي كما رآها الثعالبي: "إلحاقهم لكاف المؤنث سينًا عند الوقف كقولهم "أكرمتكس وبكسا"[3]، وهي نوعان نوع يبدل فيه كاف المؤنثة المخاطبة سينًا نحو: أبوس وأمس، في (أبوك وأمك)، ونوع يلحق كاف المؤنثة المخاطبة سينًا في الوقف، نحو: أعطيتكس في (أعطيتك)، وقد نسبت إلى بكر وهارون وربيعة ومضر.[4]

د-العنعنة: وهي إبدال الهمزة المفتوحة عينا حين تقترن بالنون نحو(عن) في (أن)، وهي في تميم ورُوي لذي الرمة.[5] وأما (العنعنة) التي تذكر عن (تميم) فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينًا، يقولون: سمعتُ عن فلانًا قال كذا يريدون (أن)[6]

هـ-الاستنطاء: إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء، ولم تورد كتب اللغة مثالًا لهذه الظاهرة غير الفعل (أعطى) الذي يقرأ بالاستنطاء (أنطي) وهي تتمثل في قراءة قوله تعالى: "إنا أعطيناك الكوثر" (الكوثر 1)، وتنسب إلى سعد بن بكر، وهذيل والأزد، وقيس والأنصار[7].

و-الطمطمانية: ويراد بها إبدال لام التعريف ميمًا كقولك مثلًا (طاب امّهواء وصَفا امْجو) أي (طاب الهواء وصفا الجو)، وقد عزاها أبو العباس ثعلب إلى الأزد وغيرهم...[8]

---

[1] أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، مرجع سابق، ص359

[2] ابن فارس الصاحبي، مرجع سابق، ص56

[3] أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، مرجع سابق، ص364

[4] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص27

[5] المرجع نفسه، ص26

[6] ابن فارس، الصاحبي، مرجع سابق، ص56

[7] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية ، مرجع سابق ، ص 24.

[8] أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، مرجع سابق، ص398

ز-**العجعجة:** وهي قلب الياء جيمًا، ثم تضاربت الروايات، هل الياء الخفيفة هي التي تقلب أم تشاركها الثقيلة أيضا. وزعم الفراء أنها لغة طيء[1].

إلى غير ذلك من اللهجات المذمومة...

بقي أن نشير إلى أن اللهجات المذمومة تعرف في كلام القبائل العربية سواء انتسبت إلى القحطانية أو العدنانية، وأن بعضها داخل في عدد القبائل الفصيحة، كما ذهب علماء اللغة إلى أنها تتوزع على بوادي الجزيرة وحواضرها.[2]

وخلاصة كل ذلك فالفصاحة عند اللغويين العرب ترتكز على دعامتين أساستين هما: الخلوص من اللهجات المذمومة، وكثرة الاستعمال.[3]

خصائص لغة قريش:

للغة قريش ميزات عدة ذكرها اللغويون كالآتي:

1 – رأي ابن فارس:

ذكر ابن فارس في فقه اللغة أن أبا عبيد الله قال: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن (قريشا) أفصح العرب ألْسنةً وأصفاهم لغةً، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدًا صلى الله عليه وسلم، فجعل قريشًا قُطّان حَرمِه وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفُود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم، ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتُسميها (أهل الله) لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام[4]" ويضيف ابن فارس: "وكانت قريش مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورِقَّة ألسنتها، إذا

[1] المرجع نفسه، ص375

[2] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص28

[3] المرجع نفسه، ص28

[4] ابن فارس الصاحبي، مرجع سابق، ص55

أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب"[1]

1- رأي ابن جني:

ولم تخرج الفصاحة عند ابن الجني عن الخلوص من مستشبع اللهجات، فقد درس هذه اللهجات درسًا مستفيضًا، ليقيس اللهجات بلهجة قريش كثيرا[2] ويقول ابن جني: " لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا، لأنا لا نكاد نرى بدوياً فصيحًا، وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه وينال ويغض منه"[3].

ومعلوم أن ليس هناك من لم يقر إقرارًا موثقًا أن لغة القرآن أفصح اللغات، وإلا لم يكن القرآن معجزة، ثم إن العلماء حين جمعوا اللغة لم ينفوا كمال الفصاحة عن لغة القرآن، بل نرى أن إعجاز الفصاحة حفزهم إلى رواية اللغة الفصيحة تحت ظل فصاحته.[4]

ثالثا: الفصاحة عند المتكلمين

كان للمتكلمين آراء كثيرة حول الفصاحة أهمها:

رأي المعتزلة: ذكر بعض الباحثين أن الفصاحة عند المعتزلة لها معنيان: الخلوص من الشوائب واقتران الفصاحة بالجزالة.

✓ المعنى الأول: الخلوص من الشوائب:

1- رأي ابن سنان:

ألف ابن سنان الخفاجي كتابه (سرّ الفصاحة) بعد أن اختلف الناس في ماهية الفصاحة وحقيقتها كما قال، فكان غرضه معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها، وقد ذكر قبل البحث في

[1] المرجع نفسه، ص55

[2] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص33

[3] ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص405

[4] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص31

معنى الفصاحة فصولًا في الأصوات والحروف والكلام لأن الكلام عند المعتزلة (ما انتظم من هذه الحروف التي ذكرناها...)، وهو الصوت الواقع على بعض الوجوه، ردًا على من ذهب من المجبرة إلى أن الكلام معنى في النفس.[1] ويقول ابن سنان: "إن الفصاحة – على ما قدمنا – نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ".[2]

ويكاد يعتمد ما جاء في الجمهرة أصلا لغويًا للفصاحة فهي الظهور والبيان، لكنه في الكلام على شروط الفصاحة يذكر أمورًا ينبغي أن تكون في اللفظة الفصيحة والكلام الفصيح، في اللفظة يشترط عدم تقارب مخارج الحروف أو الكراهة في السمع، والوعورة والسقوط في العامية، بل إن كل الشروط التي وضعها للفظة الفصيحة ترجع إلى معنى الخلوص، وكذا في تأليف الألفاظ[3]، كما جاء في قال ابن سنان: " لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية ومتى رجع الإنسان إلى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب هي ما يُضاهي القرآن في تأليفه"[4] .

2- رأي الجاحظ:

أما الجاحظ فقد اختار الخلوص للفصاحة عندما استشهد بفعل واصل بن عطاء الذي من أجل الحاجة إلى حسن البيان وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة، رام إسقاط الراء من كلامه...، "فالفصاحة إعطاء الحروف حقوقها في النطق، أي الخلوص من اللثغة، كما مثل بلثغة وصل".[5] ويقول: "إن اللغة تشترط الخلوص من الخطأ والإغلاق واللحن أيضا، فضلاً عن إفهام السامع، فالخلوص الذي وجدناه في الفصاحة عند الجاحظ يتمثل في:

- خلوص المتكلم مما يعيب منطقته.

---

[1] المرجع نفسه، ص44.

[2] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مرجع سابق، ص60

[3] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص44

[4] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مرجع سابق، ص92

[5] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص41

- وخلوص الكلام مما يشين سلامته"[1]

و"على هذين المسارين يذكر الجاحظ الحروف التي تدخلها اللثغة، ويورد سؤال معاوية عمن أفصح الناس، ويقول بن المنذر في فصاحة القرآن ويشير إلى تنافر الألفاظ والحروف".[2]

و"عن العلاقة بين الفصاحة والبلاغة، فإن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا"[3]. وفحوى هذه الفكرة مأخوذة من سابقيه في تعرضهم للبلاغة والفصاحة... فإنهما وإن تميزا ،،، فهما عند أكثر الناس شيء واحد[4]

✓ المعنى الثاني: اقتران الفصاحة بالجزالة

(الجيم والزاي واللام) أصل يدل على عظم الشيء ومنه: أجزل في العطاء، والجزالة خلاف الركاكة في الألفاظ، فالمراد بها في الأصل، القوة والمتانة وهي من صفات الكلام المستحسنة وتقترن بوصف فصاحة رؤوس المعتزلة، من هذا قول الجاحظ: "ولما علم واصل بن عطاء... أن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطراوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة..."[5]. ولعل الكلام الجزل، وهو الذي تعرفه العامة ولا تستعمله في محاوراتها كان مما عمد المعتزلة إلى اختياره، لأنه يعبر بوضوحه عن آرائهم ويشد بنمطه إعجاب الناس واستطرافهم إليه.[6]

1- رأي الجبائي:

قال الجبائي: "إنما يكون الكلام فصيحًا لجزالة لفظه وحسن معناه ولابد من اعتبار الأمرين لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحًا، فإذن يجب أن يكون جامعًا لهذين الأمرين".

ونجد أن الفصاحة شرطين هما:

---

[1] المرجع نفسه، ص 41

[2] المرجع نفسه، ص41

[3] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مرجع سابق، ص56

[4] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص45

[5] المرجع نفسه، ص47

[6] المرجع نفسه، ص46

- جزالة اللفظ
- جزالة المعنى

وأنها تعود إلى اللفظ والمعنى على سواء...[1]

2- رأي ابن الأثير:

شبه ابن الأثير الألفاظ الجزلة بأشخاص عليهم مهابة ووقار، وشبه الألفاظ الرقيقة بأشخاص ذوي دماثة، ولين أخلاق ولطافة مزاج، ولكل منهما موضع يستحسن استعماله فيه، مثلاً نجد (الجزل من الألفاظ يستعمل في وصف الحروف، وفي قوارع التهديد والتخويف) وأما (الرقيق فإنه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد...)[2]

3- رأي القاضي عبد الجبار:

جاء القاضي عبد الجبار ليخطو خطوة أخرى، ويقول: "إن الفصاحة لا تظهر في إفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم من أن تكون لكل كلمة صفة، كما أن تكون بالمواصفة وأيضا بالإعراب..."[3]

فالذي أضافه القاضي عبد الجبار هو أن "الفصاحة جزالة اللفظ وحسن المعنى" لا تظهر إلا في ضم الكلام على طريقة مخصوصة، أي أنها تعود إلى العلاقة بين الكلمة وتأليفها في الكلام".[4]

وهذا ما عرفه اللغويون الأوائل، واعتمدوه سمة في الفصحاء الذين تؤخذ عنهم العربية، فكان أبو عمرو بن العلاء يقول: "لم أر بدويًا أقام في الحضر، إلا فسد لسانه غير رؤبة والفرزدق"، وكان لا يأخذ من الأعراب الذين لانَ لسانُهم[5] وهذا هو ما احتذاه المعتزلة، وهم يقصدون قرن الفصاحة بالجزالة، يقول الجاحظ: "فمن الكلام: الجزل بالسخيف والمليح، والحسن

---

[1] المرجع نفسه، ص48

[2] المرجع نفسه، ص50

[3] المرجع نفسه، ص 51.

[4] المرجع نفسه، ص51

[5] المرجع نفسه، ص52

والسمج، والخفيف والثقيل وكله عربي..." فالكلام السخيف هو كلام الرعاع والعوام... أما الكلام الجزل فهو كلام الخاصة والعلماء، والعرب الفصحاء والكتاب والأدباء"[1]

رابعا: الفصاحة عند البلاغيين المتأخرين:

أخذ محمد كريم الكواز هذا العنصر لدراسة الفصاحة عند البلاغيين المتأخرين، لأنه وجد أنهم يأخذون شيئا من فصاحة المعتزلة ليتكون عندهم كيان الفصاحة المجدد، الذي تداوله رجال البلاغة إلى يومنا هذا، ومن بين الذين تناولوا الفصاحة نجد[2]:

1-الفخر الرازي:

كان الفخر الرازي صاحب كتاب نهاية الإيجاز قد سار على درب عبد القاهر الجرجاني، إذ قرأ كتابيه (الدلائل والأسرار) وبدا له أن يلتقط منهما الفوائد مع مراعاة الترتيب، ذكر الشيخ شبهة ضعيفة مؤداها أن معنى الفصاحة هو التلاؤم اللفظي، وتعديل مزاج الحروف، تلك الشبهة هي رأي المعتزلة في الفصاحة، كما سبق بيانه، وذهب في إبطالها إلى أن صفة الفصاحة إذا اقتصرت على كون اللفظ كذلك وجعل التلاؤم اللفظي، وتعديل مزاج الحروف المراد بها؛ لزم إخراج الفصاحة من البلاغة فإذا خرجت الفصاحة من البلاغة ترتب على خروجها أمران: [3]

الأول: جعل التلاؤم اللفظي، والتعديل أساس المفاضلة بين العبارتين أمثال: وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، والإبداع في طريقة التشبيه والتمثيل...

الثاني: جعل التلاؤم والتعديل واحدا من وجوه المفاضلة بين الأساليب، وتكون الفصاحة اسمًا مشتركًا بين معنى البلاغة وبين ما يرجع إلى سلامة اللقطة.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص 53

[2] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص75

[3] المرجع نفسه، ص76

[4] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص76

وبنى الرازي كتابه (الدراية) "على مقدمة وجملتين، حيث قسم المقدمة إلى فصلين تحدث في أولهما عن السرّ في إعجاز القرآن، ومن بين المذاهب التي عرضها تعليل الإعجاز بفصاحته، وعنده ترجع إلى الألفاظ والمعاني وبذلك ترادف البلاغة، أما في الفصل الثاني فقد تحدث عن شرف الفصاحة التي تعود إما إلى مفردات الكلام وإما أن إلى تأليفه وتركيبه ... وبحث في الجملة الخاصة بالنظم أو التأليف كمجموعة القواعد الخاصة بالنظم كما صوره عبد القاهر في دلائل الإعجاز مع العناية بطائفة من المحسنات المعنوية".[1]

والمرجح أن يكون الرازي قد أفاد من سابقيه في هذا، كأبي هلال العسكري، وابن سنان، ثم جاء السكاكي وتابعه، فساروا على خطوات الرازي، ويخلص الرازي إلى النتيجة الآتية فيقول: "أما الفصاحة: فهي خلوص الكلام من التعقيد وأصلهُ من الفصيح، وهو اللبن الذي أخذت عنه الرغوة وذهب لباءهُ، وقد فصح وأفصح إذا صار كذلك وأفصحت الشاةُ إذا فصح لبنُها ثم قالوا: فصح العجمي فصاحته فهو فصيحٌ: إذا خلصتْ لغتُه من اللكنةِ"[2] وهذا لم يتعرض له الشيخ عبد القاهر، وعدَّ في معرض الكلام على المحاسن التي تتصل بالدلالة اللفظية الركن الثالث وهو ما يتعلق بالدلالة اللفظية وذلك من أربعة وجوه:

1. أن تكون الكلمة عربية أصلية
2. أن تكون أجرى على مقاييس اللغة وقوانينها
3. المحافظة على قوانين النحو والإعراب والاحتراز عن اللحن
4. الاحتراز عن الألفاظ الغريبة الوحشية.[3]

ويقول الرازي في الدلالة اللفظية: "اعلم أن الذين يجعلون الفصاحة صفة للألفاظ فالأظهر أنهم يجعلونها صفة للألفاظ لأجل دلالتها الوضعية على مسمياتها ويحتمل احتمالاً بعيدًا أن يجعلوها

[1] فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز، تحقيق عبد الله حاجي، دار صادر، بيروت 2004م، ط1، ص11

[2] المرجع نفسه، ص 31

[3] محمد كريم كواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص77

صفة للألفاظ لا باعتبار دلالتها على مسمياتها"[1]

2- السكاكي:

وجاء السكاكي فأضاف إلى ما عقد الرازي أشياء:

الأول: وهو أن الفصاحة قسمان: "راجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد، وراجع إلى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصيلة، وعلامة ذلك أن تكون ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدوار واستعمالهم لها أكثر، لا مما أحدثها المولدون ولا مما أخطأت فيه العامة، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة، وأن تكون سليمة من التنافر"[2]

الثاني: علامة كون الكلمة فصيحة.

الثالث: تسمية ما يتعلق بالدلالة اللفظية

الرابع: فصل بين الفصاحة والبلاغة[3]

ثم قال: "وإذ قد وقفت على البلاغة، وعثرت على الفصاحة المعنوية واللفظية، فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكْشِف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك... قوله على كلمته: "وقيل يا أرضُ ابلعي ماءكِ ويا سماء أقْلعي وغيض الماء وقُضي الأمر واستوتْ على الجُودي وقيل بُعدًا للقومِ الظالمين" " (سورة هود44)[4].

والنظر في هذه الآية من أربع جهات: "من جهة علم البيان، ومن جهة علم المعاني، وهما مرجع البلاغة ومن جهة الفصاحة المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية"، هذا ولم يتعرض السكاكي إلى الأصل اللغوي للفصاحة كما فعل الرازي.[5]

---

[1] فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز، مرجع سابق، ص35

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ط2، ص416

[3] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص78

[4] سورة هود، الآية 44

[5] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مرجع سابق، ص78

3- القزويني:

كان القزويني أمام أرث غزير عند بحثه الفصاحة قال: "أما المتأخرون كالسكاكي والخطيب، وابن الأثير فهم ممن سلكوا طريق عبد القاهر واقتفوا أثره... وبينوا أن قوام الشرف والنبل هو تطبيق الكلام على مقتضى الحال... بيد أنهم عمدوا إلى الفصاحة، وأخرجوها من حيز البلاغة، وجعلوها اسمًا لما كان يخلو من تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ... وجعلوا البلاغة اسمًا لما كان مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحته".[1]

وقال القزويني: "وللناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة، لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح لتعريفهما به، ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم، فالأولى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين فنقول كل واحدة منهما تقع صفة لمعنيين، أحدهما: الكلام والثاني: المتكلم... والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد[2]. وفصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة ومخالفة القياس اللغوي... فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان، وعُسر النطق بها.[3] "أما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها".[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص88

[2] الخطيب القزويني، الإيضاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،2003م، ط1، ص81

[3] الخطيب القزويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص13

[4] المرجع نفسه، ص15

الفصل الثاني:

المباحث اللسانية من وجهة نظر السيوطي

المبحث الأول: التعريف بالكتاب المزهر

المبحث الثاني: نشأة اللغة

المبحث الثالث: فصاحة اللغة

تمهيد

سنخصص هذا الفصل للحديث على بعض المسائل اللغوية التي تناولها السيوطي في كتابه المزهر، وقد رأينا في الفصل الأول أن أغلب الباحثين العرب القدماء تناولوا مسألتين أثارتا كثير من النقاشات ودار حولها جدال كبير وطويل امتد لمئات السنين وهما:

1- نشأة اللغة

2- فصاحة اللغة

ولا تزال هاتان المسألتان تحت مجهر البحث خاصة في زمن تتنافس فيه اللغات على حسن الآداء وسرعة الانتشار وسهولة الاستعمال في التواصل، وقد ذكرنا في الفصل الأول تفصيلا عن قضيتي النشأة والفصاحة، وفي هذا سنتناول المسألتين من وجهة نظر السيوطي، وكيف عالجهما، وما هو منهجه في التحليل اللساني، ولكن قبل ذلك نريد أن نلقي نظرة على كتاب المزهر الذي شغل الناس ونهلوا منه منذ قرون طويلة:

المبحث الأول: التعريف بالكتاب المزهر

يعد كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها من أفضل مؤلفات السيوطي، ومن الكتب المهمة لدى العلماء والباحثين في اللغة العربية، بسبب ما يحتويه المزهر من مسائل اللغة وقضاياها. غير أن الذي تجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب على ضخامته ليس للسيوطي فيه إلا الجمع والترتيب[1]، عدا الإشارات القليلة المبعثرة في ثنايا الكتاب.

يقول السيوطي في مقدمة الكتاب: "هذا علمٌ شريف ابتكرتُ ترتيبه، واخترعتُ تنويعه وتبويبه، وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعِها، حاكيتُ به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع وأتيتُ فيه بعجائبَ وغرائب حسنةِ الإبداع". [2]

[1] المزهر، ص3

[2] المرجع نفسه، ص1

أما من ناحية الشكل الخارجي، فبالنسبة للون الغلاف فهو يأخذ لون الأحمر العقيق وحواشيه مزخرفة بخطوط سوداء وصفراء من الجهات الأربعة للكتاب، ونجد في أعلى واجهة الغلاف العنوان مكتوب بخط مزخرف(المزهر) وتحته بخط كبير عنوان الكتاب الكامل (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) وتحته مباشرة نجد بخط أقل حجما من خط العنوان الكامل اسم المؤلف (العلامة عبد الرحمان جلال الدين السيوطي)، ثم نجد بخط صغير أسماء من شرحهُ وضبطهُ وعلق حواشيهُ (محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم)، وبعد ذلك وفي آخر الغلاف نجد الجزء ودار النشر (دار الجيل) والبلد (بيروت). وقد بلغت صفحات الكتاب 651 صفحة.

- اعتمد السيوطي في كتابه المزهر على مجموعة من المصادر التي نقل عنها، واعتمد أيضا على المعاجم والتي أخذ ونقل عنها بصفة كبيرة كالصحاح للجوهري، الجمهرة لابن دريد وفقه اللغة للثعالبي وغيرها...

وقد شعر السيوطي أن كتابه "المزهر" يحتوي على خمسين موضوعا في اللغة وأنها لو تركت وشأنها من غير تحديد لضاعت المعالم بين موضوع وموضوع، وذابت الفوارق بين نص ونص، ولهذا بادر بعد تقديمه لكتابه أن يقدم للقارئ فهرست موضوعاته[1] فقال:

وهذا فهرست أنواعه:

النوع الأول: معرفة الصحيح الثابت.

النوع الثاني: معرفة ما روى من اللغة ولم يصح ولم يثبت.

النوع الثالث: معرفة المتواتر والآحاد.

النوع الرابع: معرفة المرسل والمنقطع.

النوع الخامس: معرفة الأفراد.

النوع السادس: معرفة من تقبل روايته ومن ترد.

[1] عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية، مرجع سابق، ص318

النوع السابع: معرفة طرق الأخذ والتحمل.

النوع الثامن: معرفة المصنوع، وهو الموضوع، ويذكر فيه المدرج والمسروق

- **وهذه الأنواع الثمانية راجعة إلى اللغة من حيث الإسناد.**

النوع التاسع: معرفة الفصيح.

النوع العاشر: معرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات.

النوع الحادي عشر: معرفة الرديء المذموم من اللغات.

النوع الثاني عشر: معرفة المطرد والشاذِّ.

النوع الثالث عشر: معرفة الحُوشي والغرائب والشوارد والنوادر.

النوع الرابع عشر: معرفة المهمل والمستعمل.

النوع الخامس عشر: معرفة المفاريد.

النوع السادس عشر: معرفة مختلف اللغة.

النوع السابع عشر: معرفة تداخل اللغات.

النوع الثامن عشر: معرفة توافق اللغات.

النوع التاسع عشر: معرفة المعرب.

النوع العشرون: معرفة الألفاظ الإسلامية.

النوع الحادي والعشرون: معرفة المولد.

- **وهذه الأنواع الثلاثة عشر راجعةٌ إلى اللغة من حيث الألفاظ.**

النوع الثاني والعشرون: معرفة خصائص اللغة.

النوع الثالث والعشرون: معرفة الاشتقاق.

النوع الرابع والعشرون: معرفة الحقيقة والمجاز.

النوع الخامس والعشرون: معرفة المشترك.

النوع السادس والعشرون: معرفة الأضداد.

النوع السابع والعشرون: معرفة المُترادف.

النوع الثامن والعشرون: معرفة الإبداع.

النوع التاسع والعشرون: معرفة الخاص والعام.

النوع الثلاثون: معرفة المطلق والمقيد.

النوع الحادي والثلاثون: معرفة المشجّر.

النوع الثاني والثلاثون: معرفة الإبدال.

النوع الثالث والثلاثون: معرفة القَلْب.

النوع الرابع والثلاثون: معرفة النَّحت.

- **وهذه الأنواع الثلاثة عشر راجعة إلى اللغة من حيث المعنى.**

النوع الخامس والثلاثون: معرفة الأمثال.

النوع السادس والثلاثون: معرفة الآباء والأمهات والأبناء والبنات والإخوة والأخوات والأذواء والذوات.

النوع السابع والثلاثون: معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف.

النوع الثامن والثلاثون: معرفة ما ورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يعاب.

النوع التاسع والثلاثون: معرفة الملاحن والألغاز وفتيا فقيه العرب.

- **وهذه الأنواع الخمسة راجعة إلى اللغة من حيث لطائفها وملحها.**

النوع الأربعون: معرفة الأشباه والنظائر.

- وهذا راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها.

النوع الحادي والأربعون: معرفة آداب اللغوي.

النوع الثاني والأربعون: معرفة كتابة اللغة.

النوع الثالث والأربعون: معرفة التصحيف والتحريف.

النوع الرابع والأربعون: معرفة الطبقات والحفاظ والثقات والضعفاء.

النوع الخامس والأربعون: معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب.

النوع السادس والأربعون: معرفة المؤتلف والمختلف.

النوع السابع والأربعون: معرفة المتفق والمفترق.

النوع الثامن والأربعون: معرفة المواليد والوفيات.

- **وهذه الأنواع الثمانية راجعةٌ إلى رجال اللغة ورُوادها.**

النوع التاسع والأربعون: معرفة الشعر والشعراء.

النوع الخمسون: معرفة أغْلاط العرب.

المبحث الثاني: نشأة اللغة عند السيوطي

لقد تحدثنا في الفصل الأول عن قضية نشأة اللغة ونظرياتها وذلك بمجموعة من الآراء المفسرة لهذه القضية.

أما الآن فسوف نذكر كيف تناول السيوطي في مؤلفه المزهر مسألة نشأة اللغة، وملاحظتنا العامة التي بدت لنا واضحة هي أن السيوطي نقل مجموعة من أقوال العلماء وحججهم حول هذه المسألة، دون أن يتدخل بتعليق أو رأي خاص به، حيث عرض هذه المسألة في ثلاث عشرة صفحة متتالية (أي من الصفحة 07 إلى الصفحة 20)،

وتمثل منهجه فيما يأتي:

تناول في أول الأمر حدِّ اللغة وتصريفها، فأورد السيوطي فيها مجموعة من الآراء من بينها (رأي ابن جني في الخصائص، ورأي إمام الحرمين في البرهان وابن الحاجب في مختصره، والأسنوي في شرح منهاج الأصول).

ثم بعد ذلك فتح بابًا حول واضع اللغة إذا كان أصل اللغة توقيفًا ووحيًا من الله تعالى أم أنها اصطلاح وتواضع، مركزاً على آراء كل من (ابن فارس وابن جني، وأيضا رأي ابن عباس ورأي الإمام فخر الدين الرازي).

ثم أورد السيوطي احتجاج القائلين بالتوقيف واحتجاج القائلين بالإصطلاح.

1- حدّ اللغة ومفهومها:

بدأ السيوطي في مسألة نشأة اللغة بالحديث عن حد اللغة وتصريفها فقال فيها:

قال أبو الفتح ابن جني في الخصائص: " حدُّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، ثم بدأ بتصريف كلمة لغة فقال: "أما تصْريفها فهو فُعْلة من لَغَوْت أي تكلَّمت، وأصلها لغوة، ككُرَة وقُلة وثُبة"، هنا هذه الكلمات محذوفات اللام " كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرةِ وقلوتُ بالقلةِ ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوبُ " فأصلها واو أيضًا، ثم بين أن كلمة اللغة لم يتفق العلماء على نطق واحد لها "وقالوا فيها لُغاتٌ ولُغوُنَ كثُبات وثُبُون" ونفهم من هذا أنه ليس أصل اللام المحذوفة واو، بل أصل اللام المحذوفة الياء "وقيل منها لَغِى يَلْغَى إذا هذَى"[1]، و"كذلك اللغو، قال تعالى: "وإذا مُروا باللّغْو مَرُّوا كرامًا" أي بالباطل، وفي الحديث: من قال في الجمعة صَهْ فقد لغَا: أي تكلَّم"[2]، فكأن اللغة مدلولها الكلام. هنا انتهى كلامُ ابن جني.

ولم يقتصر السيوطي على كلام اللغويين بل استعان بكلام أهل الأصول ليأخذ منهم تعريف اللغة من بينهم.

- "إمام الحرمين" في البرهان الذي يقول: "اللغة من لَغِى يَلْغى أي فَعِل يفعله من باب رَضِي إذا لهِج بالكلام، وقيل من لَغى يلْغى".
- وقال "ابن الحاجب" في مختصره: "حدُّ اللغة كل لفظٍ وُضِع لمعنى"، يعني أن الأصل في اللغة هو اللفظ والمعنى لذلك قال كل لفظٍ (تشمل العموم) بمعنى كل الألفاظ جميعها بشرط أن يكون لكل لفظ معنى.
- ويقول "الأسنوي" في شرح منهاج الأصول: "اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني"[3] قيدها بالألفاظ التي لا بد أن تكون لها معنى.

---

[1] المزهر، ج1، ص7، وينظر ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص31(بتصرف)

[2] المرجع نفسه، ص 7، وينظر، ابن جني، الخصائص، ص32

[3] المرجع نفسه، ص8(بتصرف)

2- واضع اللغة (أصل نشأة اللغة):

يقصد السيوطي بواضع اللغة الذي تلفظ أولًا باللفظة أو اللغة الأولى التي تكلم بها الإنسان الأول عن أي طريق جاءت وبأي طريق وضُعت؟ هل هي بإلهام من الله تعالى وأن آدم هو الذي تعلم من ربه كما جاء في صريح الآية " وعلم آدم الأسماء كلها[1]"، أم أن اللغة اصطلاح وتواضع بين أفراد المجتمع.

ثم انتقل السيوطي إلى آراء أخرى في قضية نشأة اللغة وأصلها مركزًا على موقف (ابن فارس وابن جني) بالإضافة إلى مواقف أخرى لكل من (الإمام فخر الدين الرازي، وابن عباس).

1- النظرية التوقيفية:

بدأ السيوطي ببسط موقف أهل السنة وذلك من خلال رأي ابن فارس حيث نقل السيوطي عنه قوله: "اعلم أنَّ لغة العرب توقيفٌ، ودليل ذلك قوله تعالى: "وعلّم آدم الأسماء كلها " حيث فسر "ابن عباس" الأسماء بقوله علّمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابةٍ وأرضٍ وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها"[2]، وروى "خصيف" عن مجاهد قال: "علّمه اسم كلّ شيء، وقال غيرهما: إنما علّمه أسماء الملائكة، وقال اخرون: علّمه أسماء ذُرِّيتهِ أجمعين"[3]

وعلى كل حال فهم اتفقوا جميعًا على أن المعلم هو الله سبحانه وتعالى وأن اللغة توقيفٌ من عند الله تعالى.

أ- حجج ابن فارس:

نقل السيوطي عن "ابن فارس" قوله: "والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس، فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال: "ثم عرضهن أو عرضها" فلما قال: "عرضهم" علم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة، لأن موضوع الكناية في كلام العرب يُقال

---

[1] سورة البقرة الآية 31

[2] المزهر، ص08، وينظر ابن فارس الصاحبي، ص36.

[3] المزهر، ص8

لما يَعقِل "عرضهم" ولما لا يعقل "عرضها أو عرضهن"[1]، وقيل له: "إنما قال ذلك والله أعلم لأنه جمع ما يعَقْل وملا يعقِل فلما كان كذلك فغلب ما يعقل، وهي سُنّةٌ من سنن العرب وطريقة من طرق العرب التي يتعاملون بها ويتعارفون بها، أعني باب التغليب، وذلك لقوله تعالى: "والله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من ماء، فمِنْهُمْ من يَمْشي على بَطْنِهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يمْشي على رِجْلينِ، ومِنْهم مَنْ يَمْشي على أرْبع"[2] هنا يشمل ما يعقل ومالا يعقل، فقال "منهم" تغليبًا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم"[3].

وطرح ابن فارس سؤالاً: فإن قال: أفتقولون في قولنا سيف وحسام وغصب إلى غير ذلك من أوصافه أنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مصطلحاً عليه؟، يعني كل الأسماء توقيف ليس فيها أسماء اصطلح عليها الناس، وقيل له: كذلك نقول: "والدليل على صحة ما نذهب إليه إجماعُ العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مُواضعةً واصطلاحًا لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق"[4].

ويؤكد ابن فارس على القول بتوقيفية اللغة أن ذلك لا يعني أنها جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد، وإنما نزلت تفصيلاً شيئًا فشيئًا حسب حاجة البشر إليها، وعلم الله عز وجل آدم ما شاء أن يُعلمه إياه ومما احتاج إلى علمه في زمانه من مجموعة من الألفاظ، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علّم بعد آدم من الأنبياء صلوات ربي عليهم نبيًا نبيًا ما شاء الله أن يعلمه من ألفاظ ودلالات أخرى، حيث كان لكل نبي لغة قومه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فآتاه الله من ذلك ما لم يأت به أحدًا قبله، تمامًا على ما أحسنه من اللغة

[1] ينظر ابن فارس الصاحبي، مرجع سابق، ص 36

[2] سورة النور الآية 45

[3] ينظر ابن فارس الصاحبي، مرجع سابق، ص 36

[4] المرجع نفسه، ص37

المتقدمة، ثم قّر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت.[1] أي أن الوحي توقف بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وما دام الوحي توقف فإن أمر اللغة أيضًا قد توقف.

ثم قال: "ولقد بلغنا عن بني الأسود أن امرأ كلمه ببعض ما أنكره أبو الأسود فسأله أبو الأسود عنه فقال: "هذه لغة لم تبلغك" فقال له: "يا ابن أخي لا خير لك فيما لم يبلغني" فعرَّفه بلطف أن الذي تكلم به مختلق، وخلَّةٌ أخرى أنه لم يبلغنا أن قومًا من العرب في زمانٍ يُقارب زمانه أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستبدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم".[2]

ولازال ابن فارس يدلل على أن اللغة توقيفٌ، والسيوطي ينقل لنا ما قاله: " وقد كان في الصحابة رضي الله عنهم، وهم البلغاء والفُصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به، وما علمنا أنهم اصطلحوا على اختراع لغةٍ أو إحداث لفظةٍ لم تتقدمهم، ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا بانقضائه ولا تزول إلا بزواله وفي كل ذلك دليلٌ على صحة ما ذهبنا إليه من هذا الباب".[3]

ب- رأي ابن جني:

لاحظنا أن ابن جني كان له رأي مضطرب في مسألة اللغة، وقد عرض السيوطي رأيه وأكد أن ابن جني اهتم في البداية بهذه المسألة لكنه ذكر أن أهل النظر اتفقوا: " على أن أصل اللغة إنما هو تواضعٌ واصطلاح لا وحي ولا توقيف فابن جني هنا لم يذكر رأيه الصريح في أصل اللغة إنما ذكر أن أهل النظر قالوا بأنها تواضع واصطلاح، غير أن شيخه أبا علي الفارسي قال بأنها هي من عند الله، واحتج أبو علي بالحجة نفسها التي ذكرها ابن فارس وهي قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" ثم عقب ابن جني على هذه الحجة الدامغة وقال إنها ليست موضع الخلاف ذلك أن تأويل الآية هو أن الله عز وجل أقدر آدم على أن واضَع عليها،

[1] المزهر، ص9، وينظر ابن فارس الصاحبي، مرجع سابق، ص37

[2] ينظر ابن فارس الصاحبي، مرجع سابق، ص38

[3] المرجع نفسه، ص38

وهذا المعنى من عند الله سبحانه وتعالى لا محالة، وقال: إذا كان ذلك مُحْتَملاً غير مُستنكر سقط الاستدلال به، وقد كان أبو علي أيضًا قال به في بعض كلامه، وهذا أيضا رأي أبي الحسن، على أنه لم يمنع قول من قال إنها تواضعٌ منه، وفسر هذا بقول الله تعالى وعلم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: (العربية، الفارسية، العبرانية، السريانية والرومية... وغير ذلك) حيث تكلم آدم وولده بها إلى أن تفرقوا في الدنيا وعلق كل واحد منهم بلغة من تلك اللغات، فغلبت عليه واضمحل عنه ما سواها"[1]

احتجاج القائلين بالتوقيف:

أورد السيوطي أربعة أدلة للقائلين بالتوفيق:

أولهما: قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها"، فالأسماء كلها معلمة من عند الله بالنص وكذا الأفعال والحروف لعدم القائل بالفصل، ولأن الأفعال والحروف أيضاً أسماء لأن الاسم ما كان علامةً، والتمييزُ من تصَرُّفِ النجاة، لا من اللغة ولأنَّ التكلم بالأسماء وحْدَها متعَّذر.

ثانيهما: أنه سبحانه وتعالى ذمَّ قومًا في إطلاقهِم أسماء غير توقيفية في قوله تعالى: "إنْ هي إلَّا أسْمَاءٌ سمَّيْتُموهَا أنْتُم وآباؤُكُم ما أنزَّل الله بها من سُلطانٍ "[2]، وذلك يقتضي كون البواقي توقيفية.

ثالثهما: قوله تعالى: "ومِنْ آياتهِ خَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ واخْتِلافُ ألْسِنتكْم وألْوانِكُم"[3]، المراد هي اللغات.[4]

---

[1] المزهر، ص11، وينظر ابن جني، الخصائص، ص39، (بتصرف)

[2] سورة النجم الآية 23

[3] سورة الروم 22

[4] المزهر، ص17

رابعهما: وهو عقلي: لو كانت اللغات اصطلاحية لأُحْتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابةٍ، ويعود إليه الكلام ويلزم إما الدور أو التسلسل في الأوضاع، وهو محال فلابد من الإنهاء إلى التوقيف.[1]

الجواب على حجج أصحاب التوفيق:

وضع السيوطي أجوبة على كل الأدلة التي احتجّوا بها:

- فالجواب على الحجة الأولى وهي (قوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها" فالأسماء كلها معلمة من عند الله وكذا الأفعال والحروف أيضا أسماء، لأن الاسم ما كان علامةً والتمييز من تصرف النحاة، لا من اللغة ولأن التكلم بالأسماء وحدها متعذِّر لابد من أن نحتاج إلى الأفعال والحروف أيضًا، لم لا يجوز أن يكون المراد من تعليم الأسماء الإلهام إلى وضعْها؟، ولا يقال التعليمُ إيجاد العلم، فإنا لا نُسَلِّم بذلك، بل التعليم فعلٌ يترتب عليه العلم، ولأجله يقال علَّمْتُه فلم يتعلَّم.

- سلمنا أن التعليم إيجاد العلم، لكن قد تقرَّر في الكلام أن أفعال العباد مخلوقةٌ لله تعالى، فعلى هذا: العلمُ الحاصلُ بها مُوجَد لله.

– سلّمناه أنَّ الأسماء هي سِماتُ الأشياء وعلاماتُها مثل إن يعلَّمَ آدم صلاح الخيل لِلعدْو والجمال للحْمل، والثيران للحرث، فَلِم قلتم: إن المراد ليس ذلك؟ وتخصصُ الأسماء بالألفاظ عرفٌ جديد.

– سلمنا أن المرادُ هو الألفاظ، ولكن لم لا يجوزُ أن تكون هذه الألفاظ وضعها قومٌ آخرون قبل آدم وعلَّمها الله آدم؟[2]

- والجواب عن الحجة الثانية (أنه سبحانه ذمَّ قومًا في إطلاقهم أسماء غير توقيفية استنادًا لقوله تعالى:" إنْ هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان"، وذلك يقتضي كون البواقي توقيفية)

[1] المزهر، ص18 ويقصد بالدور العود إلى الأول، وبالتسلسل اللانهاية.

[2] المرجع نفسه، ص19

جوابها هو أنه تعالى ذمَّهم لأنهم سمُّوا الأصنام آلهة واعتقدوها كذلك.

- أما الجواب عن الحجة الثالثة (اختلاف اللغات بقوله تعالى: "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم" والألسنةُ اللحمانية غير مرادة لعدم اختلافها ولأن بدائع الصنع في غيرها أكثر، فالمراد هي اللغات؛ جوابها أن اللسان هو الجارحة المخصوصة، وهي غير مرادة بالاتفاق وهو المجاز الذي ذكرتموه يعارضُه مجازات أخرى نحو مخارج الحروف، أو القدرة عليها فلم يثبت الترجيح.

- والجواب عن الحجة الرابعة (وهو عقلي لو كانت اللغات اصطلاحية لاحْتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغةٍ أو كتابة، ويعود إليه الكلام ويلزم إما الدور أو التسلسل في الأوضاع، وهو محال فلابد من الإنهاء إلى التوقيف) فجوابها أن الاصطلاح لا يستدعي تقدم اصطلاحٍ آخر بدليل تعليم الوالدين الطفل دون سابقةِ اصطلاحٍ ثمة[1]

2- النظرية التوقيفية (المواضعة والاصطلاح):

بعدما عرض السيوطي رأي من قال إن اللغة توقيفية ووحي من الله سبحانه وتعالى، نجده كذلك يعرض لنا موقف المعتزلة وهم من أهل العقل من خلال رأي ابن جني، حيث تقول هذه النظرية المسماة بالنظرية التوقيفية إن اللغة من صنع الإنسان وذلك بالتواضع والاصطلاح على ألفاظها ومدلولاتها.

يرى ابن جني "أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما تواضع واصطلاح لا وحيٌ ولا توقيف"[2]. ونقل السيوطي عن ابن جني قوله: "فلنقل في الاعتدال لمن قال بأن اللغة لا تكون وحياً، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لابدَّ فيه من المواضعة، قالوا: وذلك بان يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل

[1] المزهر، ص19

[2] ينظر ابن جني، الخصائص، ص39

واحد منها سِمة ولفظًا، إذا ذُكر عُرف به ما مُسمَّاه، ليمتاز عن غيره وليُغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلُّف إحضاره لبلوغ الغرضِ في إبانة حاله"، يعني إذا حضرت في ذهن الإنسان صورة ذهنية للشيء الذي ذكر فسوف يتصور ذاك الشيء في ذهنه.

ويقول: "بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر مالا يمكن إحضاره ولا إدناؤُه، كالفاني وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد، وغير هذا مما هو جارٍ في الاستحالة التعذر، فكأنهم جاؤوا إلى واحد من بني آدم فأومأوا إليه، وقالوا: إنسان، إنسان، إنسان، فأيِّ وقتٍ سُمِع هذا اللفظ عُلِم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق، وإن أرادوا سِمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك، فقالوا: يدٌ، عينٌ، رأسٌ، قدمٌ ...وغير ذلك، فمتى سُمعت اللفظة من هذا عُرف مَعْنيُّها، وهلَّم جرًا فيما سوى ذلك من الأسماء والأفعال والحروف"[1]

وكان رأي ابن جني واضحا فلابد من الاصطلاح على الأشياء ووضع لكل لفظة معنى، ويعقب أن المواضعة تنتقل إلى غيرها، فتقول: الذي اسمه إنسان فليجعل مكانه (مَرْدٌ)، والذي اسمه رأس فليجعل مكانه (سِرّ)، وعلى هذا بقية الكلام، وكذلك لو بُدئت اللغة الفارسية فوقعت المواضعة عليها، ونجد هذا الاستعمال في المصنوعات من اختراع الصُناع لآلات صنائعهم من الأسماء: كالنجار والصائغ والبناء والحائك، الملاح ...وغير ذلك.

وقالوا أيضا: والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يُواضِع أحدًا على شيء، إذ قد ثبت أن المواضعة لا بد معها من إيماء وإشارةٍ بالجارحة نحو المومأ إليه والمشار نحوه ولا جارحة له فيصحُّ الإيماء والإشارة منه بها، فبطل عندهم أن تصبح المواضعة على اللغة منه، تقدست أسماؤه، قالوا ولكن يجوز أن ينقل الله تعالى اللغة التي تواضع بين عباده عليها، كأن يقول: الذي كنتم تعبرون عنه لكذا، عبروا عنه بكذا، وجواز هذا منه سبحانه، كجوازه من عباده.[2]

[1] المزهر، ص12.، وينظر ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص42(بتصرف)

[2] ينظر ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص43

ويقول ابن جني متسائلا: "إلا إنني سألت يومًا بعض أهله (أي القائلين بالاصطلاح) فقلت: ما تنكر أن تصبح المواضعة من الله تعالى؟ وإن لم يكن ذا جارحة بأن يُحدث في جسم من الأجسام خشبة أو غيرها، إقبالاً على شخص من الأشخاص، وتحريكًا لها نحوه، ويُسمع في حال تحرك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتًا يضعه اسمًا له"، أي أن الله عز وجل يضع خشبة في جسم من الأجسام، ثم هذه الخشبة لها قدرة على أن تشير على الذي يمشي فنقول مثلا هذا إنسان "فتقوم الخشبة في هذا الإيماء وهذه الإشارة، مقام جارحة ابن آدم في الإشارة بها في المواضعة، وكما أن الإنسان أيضًا قد يجوز إذا أراد المواضعة أن يشير بخشبة نحو المرادِ المتواضع عليه، فيقيمها في ذلك مقام يده، لو أراد الإيماء بها نحوه"[1].

نستنتج بعد هذا الموقف أنه يوجد رأيان:

1- **الرأي الأول:** يوضح أن الحكماء قد جلسوا لوضع لغة من اللغات وأشاروا على كل مارٍ من أمامهم كالإنسان أو الحيوان أو الطير أو أي شيء يمرّ عليهم فيسمونه باسم ثم ينشرون هذا الاسم أمام الناس.

2-**الرأي الثاني:** أنه قد توضع خشبة أو إشارة في جسم من الأجسام، وأن الله عز وجل يضع في هذا الجسم قدرة على أن نحرك هذه الخشبة على كل من مرَّ فيسمى باسم من الأسماء.[2]

رأي ابن جني في نظرية محاكاة أصوات الطبيعة:

وبما كان ابن جني موضوعيا ومتعدد الآراء، فهو يأتي بنظرية المحاكاة ويقول بأنها تنسجم مع نظرية الاصطلاح لأنها جزء منها وتكملها من حيث أن نظرية المحاكاة تنتمي إلى نظرية الاصطلاح التي تمثل الكل فهما إذن يتكاملان ولا يتعارضان.

[1] المزهر، ص14، وينظر ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص44(بتصرف)

[2] المرجع نفسه، ص14(بتصرف)

لهذا يشير ابن جني إلى أن أصل اللغة من الأصوات، ونقل لنا السيوطي قوله: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، أي محاكاة الطبيعة كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك[1]، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب مُتقبلٌ"

احتجاج القائلين بالإصطلاح:

أورد السيوطي وجهين فقط:

أولهما: لو كانت اللغات توقيفية لتقدمت واسطة البعثة على التوقيف، والتقدم باطلٌ، وبيان الملازمة أنها إذا كانت توقيفية فلابد من واسطة بين الله والبشر وهو النبي، لاستحالة خطاب الله تعالى مع كل أحد وبيان بطلان التقدم، قوله تعالى: " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" (ابراهيم 4)، وهذا يقتضي تقدم اللغة على البعثة.

والثاني: لو كانت اللغات توقيفية فذلك إما بأن يخلق الله تعالى علمًا ضروريا في العاقل أنه وضع الألفاظ لكذا، أو في غير العاقل، أو بألا يخلق علما ضروريا أصلا، والأول باطل، وإلا لكان العاقل عالما بالله بالضرورة، لأنه إذا كان عالما بالضرورة بكون الله وضع كذا لكذا كان علمه بالله ضروريا، ولو كان كذلك لبطل التكليف، والثاني باطل لأن غير العاقل لا يمكنه إنهاء تمام هذه الألفاظ، والثالث باطل لأن العلم بها إذا لم يكن ضروريا احتيج إلى توقيف آخر ولزم التسلسل.[2]

الجواب عن حجج أصحاب الاصطلاح:

- الجواب عن الحجة الأولى (لو كانت اللغات توقيفية لتقدمت واسطة البعثة على التوقيف والتقدم باطل، وبيان الملازمة أنها إذا كانت توقيفية فلا بد من واسطة بين الله والبشر، وهو

[1] ينظر ابن جني، الخصائص، م ص، ص45

[2] المزهر، ص18

النبي، لاستحالة خطاب الله تعالى مع كل أحد، وبيان بطلان التقدم، قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" [1]، وهذا يقتضي تقدم اللغة على البعثة، وجوابها كان: لا نُسَلِّمُ توقف التوقيف على البعثة، لجواز أن يخلق الله فيهم العلم الضروري بأن الألفاظ وضعت لكذا وكذا.

- والجواب على الحجة الثانية (لو كانت اللغات توقيفية فذلك إما بأن يخلُق الله تعالى علما ضروريا في العاقل أنه وضع الألفاظ كذا، أو في غير العاقل، أو بألا يخلق علما ضروريا أصلا والأول باطل، وإلا لكان العاقل عالما بالله بالضرورة لأنه إذا كان عالما بالضرورة بكون الله وضع كذا لكذا كان علمه بالله ضروريا، ولو كان كذلك لبطل التكليف، والثاني باطل، لأن غير العاقل لا يمكنه إنهاء تمام هذه الألفاظ والثالث باطل لأن العلم بها إذا لم يكن ضروريا احتيج إلى توقيف آخر، ولزم التسلسل).

- جوابها كان: لِمَ لا يجوز أن يخلق الله العلم الضروري في العقلاء أن واضعا وضع تلك الألفاظ لتلك المعاني؟، وعلى هذا لا يكون العلم بالله ضروريا سلمناه، لكن لِمَ لا يجوز أن يكون الإله معلوم الوجود بالضرورة لبعض العقلاء؟

قوله: "لبطل التكليف" قلنا: بالمعرفة، أما سائر التكليف فلا.[2]

نقد النظرية:

كان ابن جني مترددًا في القول حول أصل اللغة تارة يقول إنها توقيفية ووحي من الله عز وجل ويضع لها حججها وتارة يأتي برأي آخر ويقول إنها تواضع واصطلاح.

قال ابن جني: "اعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلفة التغول على فكري، وذلك أنني إذا تألمت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة، اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة، والدقة، والإرهاف، والرقة ما يملك على جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا

[1] سورة إبراهيم، الآية 4

[2] المزهر، ص18

رحمهم الله، ومنه ما حذوته على أمثلتهم، فعرفت بتتابعه وانقياده، وبعد مراميه وآماده، صحة ما وقفوا لتقديمه منه ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه، وإنصاف إلى ذلك وأراد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله عز وجل وأنها وحي".[1]

واضح أن ابن جني هنا مال إلى الموقف الأول (اللغة وحي من الله تعالى)، ثم يقول إن الله خلق من قبلنا أناسا أعظم منا وألطف من أذهانا، فهم الذين وضعوا اللغة، فيقف ابن جني بين الرأيين مترددا ويحاول أن يناقشهما ولكنه قال: وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا به.[2]

يتبين لنا بأن ابن جني لم يقطع برأي محدد خلافا لابن فارس. لأن ابن فارس لشدة قناعته بنظرية التوقيف لم يورد غيرها بل آمن بها وأوردها وحدها، عكس ابن جني، فقد عرض الآراء عرضا موضوعيا لم يثق بإحداها بل وقف بينها جميعا موقفًا حياديا. ويكاد يجمع بين الاصطلاح والتوقيف والمحاكاة معا.

ونلاحظ أن السيوطي لم يتوقف عند اللغويين فقط بل يذهب إلى أراء أهل الأصول، فنقل عن الإمام فخر الدين الرازي في المحصول وأتبعه برأي سراج الدين الأرموي في الحاصل فجاء ما ملخصه أن دلالة الألفاظ على المعاني إما أن تدل بذاتها وهذا حسب مذهب عباد بن سليمان، وإما أن الألفاظ تدل على المعاني بوضع الناس حسب مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وابن فورك، ومذهب أبي هاشم يدل على أن الألفاظ تدل على المعاني بكون البعض بوضع الله، والباقي بوضع الناس، وأما أن يكون الابتداء من الناس والتتمة من الله وهو مذهب قوم.[3]

[1] ينظر ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص45

[2] المزهر، ص16، وينظر ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص46

[3] المرجع نفسه، ص16

النتيجة: لاحظنا جيدا كيف كان منهج السيوطي في عرضه لهذه المسألة الفلسفية المعقدة، وتمثل عمله في الآتي:

1. عرض آراء كبار اللغويين والبلغاء والأصوليين في المسألة كابن فارس، وابن جني، وفخر الدين الرازي، وغيرهم
2. العودة إلى مصادرهم المشهورة
3. النقل الأمين دون زيادة أو نقصان
4. تمثل منهج النقاش في الطرقة الآتية:
   - عرض الآراء
   - عرض الحجج
   - عرض الأدلة للحجج
   - نقد الحجج
   - أدلة نقد الحجج

المبحث الثالث: فصاحة اللغة

تحدثنا في الفصل الأول عن فصاحة اللغة وذلك بمجموعة من الآراء المفسرة لها، أما الآن فسوف نذكر كيف تناول السيوطي في كتابه "المزهر" فصاحة اللغة، حيث فصّل لنا السيوطي المسألة فبدأ بمعنى الفصيح ثم مدار الفصاحة ثم قسم مباحث الفصاحة إلى ثمانية أبواب وهي كالآتي:

1- الفصاحة في المفرد

2 - الفصاحة في الحروف

3 - رتب الفصاحة

4 - ألفاظ القرآن

5 - كتاب الفصيح

6 - معرفة الفصيح من العرب

7 - أخذ اللغة عن أهل الحضر والوبر

8 - رتب الفصيح

وبدأ السيوطي بالحديث في أول الأمر عن معرفة الفصيح وأن الكلام عليه إما أن يكون بالنسبة إلى اللفظ، أو بالنسبة إلى المتكلم به[1]. وهو يشير إلى ما ذهب إليه بعضهم من أن الفصاحة تتمثل في أمرين: فصاحة اللفظة، وفصاحة المتكلم.

1- معنى الفصيح:

نقل السيوطي عن الراغب في كتابه المفردات قوله: "الفصح: خلوص الشيء مما يشوبه وأصله في اللبن، يُقال: فَصّح اللبنُ وأفْصَحَ فهو فَصيحُ ومُفْصِح إذا تعرى من الرغوة قال الشاعر:

وتحت الرَّغْوةِ اللبن الفصيحُ

[1] السيوطي، المزهر مرجع سابق، ص184

ومنه اسْتُعير فَصُح الرجل: جادت لغته، وأفصح تكلم بالعربية، وقيل بالعكس والأول أصح"[1]، ومثل ذلك وجدناه في اللسان، يقول ابن منظور: " وأفصح اللَّبنُ: ذهب اللّبأُ عنْه، والمُفْصِحُ من اللبنِ كذلك، وفصح اللَّبنُ إذا أخِذتْ عنَهُ الرّغوةُ"[2]

2 – مدار الفصاحة:

استشهد السيوطي بقول ثعلب بأن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها، فإنه قال في أول فصيحه: "هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها، فأخبرها بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن أحداهما بأكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما"[3]

3– أقسام الفصاحة:

قسم السيوطي مباحث الفصاحة إلى:

1– الفصاحة في المفرد

2– الفصاحة في الحروف

3– رتب الفصاحة

4– ألفاظ القرآن

5– كتاب الفصيح

6– معرفة الفصيح من العرب

7– أخذ اللغة عن أهل الحضر والوبر

8– رتب الفصيح

---

[1] المزهر، مس، ص184، وينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، (ف، ص، ح)

[2] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (ف، ص، ح)

[3] المزهر، ص185، وينظر أبي العباس ثعلب، كتاب الفصيح (فصيح ثعلب)، تعليق ونشر محمد المنعم خفاجي، مكتبة التوحيد، ط1، 1949م، ص2

1- الفصاحة في المفرد:

وضع لها شروطا في خلوصها من:

أ-**التنافر**[1]: نقل السيوطي عن القزويني في كتابه الإيضاح قوله: "فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها، كما روي أن أعرابياً سئل عن ناقته، فقال: تركتها ترعى الهُعخُعَ، ومنه ما هو دون ذلك كلفظ مُسْتشزرٍ في قول امرئ القيس:

غدائرهُ مُستشزراتٌ إلى العُلا

وذلك لتوسُّط الشين وهي مهموسة شديدة، والزاي وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة، والزاي وهي مهجورة.[2]

ب- الغرابة[3]: أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتها إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمرو النحوي أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: "ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذي الجنة افرنقعوا عني، أي اجتمعتم، تنحوا"[4]

ت- مخالفة القياس: [5]

كما في قول الشاعر:

الحمدُ لله العلي الأجْلِلِ

فإن القياس" الأجل" بالإدغام، وزاد بعضهم في شروط الفصاحة قول القزويني: " خلوصه من الكراهة في السمع، بأن تضج الكلمة، ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة

[1] قال ابن منظور، النفرة والنفر والنفير: القوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال ينظر: لسان العرب (ن ف ر)

[2] المزهر، ص 186.ينظر القزويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص14

[3] قال ابن منظور: والغرابة والغرب: النوى والبعد وقد تغرب، انظر اللسان (ت غ ر ب)

[4] القزويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص14

[5] قال ابن منظور: قيس: قاس الشيء يقيسه قيسا وقياسا، واقتاسه، وقيسه إذا قدره على مثاله، انظر لسلن العرب (ق ي س)

فإن اللفظ من قبيل الأصوات، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه، ومنها مت تكره سماعه كلفظ "الجِرِشَّي" في قول أبي الطيب:

كريم الجرشيّ، شريف النّسبْ

أي كريم النفس، وهو مردود، لأن الكراهة لكون اللفظ حوشيا، فهو داخل في الغرابة فالمراد فالفصيح ما كثر استعماله في ألسنة العرب.[1]

د-الضرائر[2]:

نقل السيوطي عن حازم القرطاجني في منهاج البلغاء أن: " الضرائر الشائعة منها المستقبح، وغيره وهو ما لا تستوحش منه النفس، كصرف ما لا ينصرف وقد تستوحش منه في البعض، كالأسماء المعدولة وأشد ما تستوحشه تنويا افعل منه، ومما لا يستقبح قصر الجمع الممدود، ومد الجمع المقصور، وأقبح الضرائر الزيادة المؤدية لما ليس أصلا في كلامهم كقوله أدنو فأنظور أي انظر"[3]

ذ-الابتذال[4]:

ذكر السيوطي قول الشيخ بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح في الابتذال، فمن شروط الفصاحة ألا تكون الكلمة مبتذلة: " إما لتغيير العامة لها إلى غير أصل الموضع، كالصرم للقطع جعلته العامة للمحل المخصوص، وإما لسخافتها في أصل الوضع كاللقالق، ولهذا عدل في التنزيل لقوله "فأوقد لي يا هامان على الطين"[5]

---

[1] المزهر، ص187، لينظر القزويني الإيضاح، مرجع سابق، ص15

[2] قال ابن منظور، والضرائر: المحاويج والاضطرار: الاحتياج إلى الشيء، وقد اضطره إليه أمر والاسم الضرة، انظر لسان العرب (ض ر ر)

[3] المزهر، ص189

[4] قال ابن منظور: بذل: البذل: ضد المنع، بَذَلَهُ يَبْذِلُه ويَبْذُلُهُ بَذْلاً: أعطله وجاد به، ينظر، لسان العرب، (ب ذ ل)

[5] سورة القصص، الآية 38

لسخافة لفظ الطوب وما ردفه"[1]

وقسم القرطاجني الابتذال في كتابه المنهاج إلى:

- ✓ ما استعمله العرب دون المحدثين، وكان استعمال العرب له كثير في الأشعار، وغيرها فهذا حسن فصيح
- ✓ ما استعمله العرب قليلا، ولم يحسن تأليفه ولا صيغته فهذا لا يحسن إيراده
- ✓ ما استعمله العرب وخاصة المحدثين وعامتهم ولم يكثر في ألسنة العامة فلا بأس به
- ✓ ما استعمله العرب وخاصة المحدثين دون عامتهم فهذا حسن جدا لأنه خلص من حوشية العرب وابتذال العامة
- ✓ ما كان كذلك، ولكنه كثر في ألسنة العامة وكان لذلك المعنى اسم استغنت به الخاصة عن هذا، فهذا يقبح استعماله لابتذاله.[2]

ثم يقول الشيخ بهاء الدين السبكي: " اعلم أن الابتذال في الألفاظ وما يدل عليه ليس وصفا ذاتيا ولا عرضا لازما بل لاحقا من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمان دون زمان وصُقْع دون صَقْع"[3]

2- الفصاحة في الحروف:

ذكر السيوطي عن ابن دريد في كتابه الجمهرة حديثا عن فصاحة الحروف حيث قال: "اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألّفت بين الهمزة والهاء والحاء، فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها نحو قولهم في (أم والله): هم والله وكما قالوا في (أراق)

[1] المزهر، ص190، ينظر الشيخ بهاء الدين السبكي عروس الأفراح، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ط1، ت1423هـ-2003م، ص71

[2] المزهر، ص190، ينظر الشيخ بهاء الدين، عروس الأفراح، مرجع سابق، ص70

[3] ينظر الشيخ بهاء الدين، عروس الأفراح، مرجع سابق، ص71

هراق الماء ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاء وقد ذكرت ذلك آنفا، وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف"[1]

وقد تتآلف الحروف وتتنافر لأسباب

أ- **أسباب التنافر:**

وتعرف بعض الحروف العربية بألفاظها تنافرا وثقلا في النطق، وقد أورد السيوطي عن بهاء الدين السبكي في كتابه عروس الأفراح أن العرب قالت: التنافر يكون إما لتباعد الحروف جدا أو لتقاربها، فإنها كالطفرة والمشي في القيد، نقله الخفاجي في سر الفصاحة عن الخليل بن أحمد، وتعقبه بأن لنا ألفاظا حروفها متقاربة ولا تنافر فيها، كلفظ الشجر والجيش، والفم، وقد يوجد البعد ولا تنافر، كلفظ العلم والبعد ثم رأى الخفاجي أنه لا تنافر في البعد، وإن أفرط بل زاد، فجعل تباعد مخارج الحروف شرطا للفصاحة.[2]

ب-أنواع تأليف الحروف:

استند السيوطي إلى رأي ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب وقال إن للتأليف ثلاثة أنواع رتبها حسب حسنها وهي:

1- تأليف الحروف المتباعدة، وهو أحسنه وهو أغلب في كلام العرب

2- الحروف المتقاربة لضعف الحرف نفسه وهو يلي الأول في الحسن

2-الحروف المتقاربة، فإما رفض، وإما قل استعماله، وإنما كان أقل من المماثلين وان كان فيهما ما في المتقاربين وزيادة، لأن المتماثلين يخفان الإدغام، ولذلك لما أردت بنو تميم إسكان عين (مَعَهُم) كرهوا ذلك فأبدلوا الحرفين حائيين وقالوا: (مححم)، فرأوا ذلك أسهل من الحرفين المتقاربين.[3]

---

[1] المزهر، ص192، ينظر ابن دريد، الجمهرة، مكتبة المثنى، بغداد، ج1، ط1، د ت، ص9

[2] المرجع نفسه، ص194

[3] المرجع نفسه، ص194

ج- فصاحة الأبنية:

يقول ابن دريد في أحسن الأبنية: "اعلم أن أحسن الأبنية أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة ألا ترى أنك لا تجد بناء رباعيا مصمت الحروف لا مزاج له من الحروف الذلاقة، إلا بناء يجيئك بالسين لينة وجرسها من جوهر الغنة فلذلك جاءت في هذا البناء. فأما الخماسي مثل (فرزدق) و(سفرجل) و(شمردل)، فإنك لست تجد واحدة إلا بحرف وحرفين من حروف الذلاقة من مخرج الشفتين أو أسئلة اللسان"[1]

د-أكثر الحروف استعمالا:

وعن الحروف الأكثر استعمالا ذكر السيوطي رأي ابن دريد الذي قال: "اعلم أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة وأقل ما يستعملون لثقلها على ألسنتهم الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم الغين ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم فأخف هذه الحروف كلها ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزائد لاختلاف المعنى. ومما يدلك أنهم لا يؤلفون الحروف المتقاربة المخارج أنه ربما لزمهم ذلك من كلمتين أو من حرف زائد، فيحولون أحد الحرفين حتى يصيروا الأقوى منهما مبتدأ على الكره منهم، وربما فعلوا ذلك في البناء الأصلي"[2].

"وأما ما فعلوه من بناءين فمثل قوله تعالى: " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" (المطففين14)، لا يبينون اللام ويبدلونها راء لأنه ليس في كلامهم بر، فما كان كذلك أبدلوا اللام فصارت مثل الراء، مثال ذلك "الرحمان الرحيم" لا تستبين اللام عند الراء وكذلك فعلهم فيما أدخل عليه حرف زائد وأبدل، فتاء الافتعال عند الطاء والظاء والضاد والزاي وأخواتها تحول إلى الحرف الذي يليه، حتى يبدؤوا بالأقوى فيصير في لفظ واحد وقوة واحدة"[3]. وغير ذلك من الحروف المتقاربة المخارج، ونلاحظ أن هذا الترتيب البديع للحروف كثيرة الاستعمال

[1] ينظر، ابن دريد، الجمهرة، مرجع سابق، ص11

[2] المزهر، ص196، ينظر ابن دريد، الجمهرة، مرجع سابق، ص12

[3] ينظر، ابن دريد، الجمهرة، مرجع سابق، ص12

لا يمكن أن ينتبه إليه إلا عباقرة العربية حيث نتساءل عن الآليات العلمية التي اعتمدها ابن دريد في ترتيب هذه الحروف كما نعرف أنه اعتمد على حسيِّه.

3- رتب الفصاحة:

ذكر السيوطي في مزهره قول الشيخ بهاء الدين السبكي في كتابه عروس الأفراح: أن رتب الفصاحة متفاوتة، وان الكلمة تخف وتثقل بحسن الانتقال من حرف إلى حرف يلائمه قربا أو بعدا، وأن الكلمة المؤلفة من ثلاثة أحرف تكون تراكيبها اثنا عشر، وانتهى إلى أن أحسن التراكيب ما تقدمت فيه نقلة الانحدار من غير طفرة بأن ينتقل من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى، أو من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط.[1]

وينقل رأي ابن النفيس في كتاب الطريق إلى الفصاحة قوله: إن الكلمة تنقل من صيغة لأخرى أو من وزن إلى آخر، أو من مضي إلى استقبال وبالعكس، فتحس بعد إن كانت قبيحة وبالعكس، فمن ذلك خود بمعنى أسرع قبيحة، فإذا جعلت اسما (خودا)، وهي المرأة الناعمة قل قبحها وكذلك لفظ اللب بمعنى العقل يقبح مفردا ولا يقبح مجموعا، كقوله تعالى: " لأولي الألباب" قال: ولم يرد لفظ اللّب مفردًا إلا مضافًا...[2]

أ- الثلاثي أحسن من غيره:

يأخذ السيوطي أيضا قول الشيخ بهاء الدين: "أن الثلاثي أحسن من الثنائي والأحادي ومن الرباعي والخماسي، فذكر حازم وغيره من شروط الفصاحة أن تكون الكلمة متوسطة بين قلة الحروف وكثرتها، والمتوسطة ثلاثة أحرف، فان كانت الكلمة على حرف واحد مثل(قه) فعل أمر في الوصل قبحت وإن كانت على حرفين، لم تقبح إلا بأن يليها مثلها"[3] ويقول: "إن زيادة الحروف لزيادة المعنى، كما في (اخشوشن) بمعنى خشن، واقتدر في قوله تعالى: "فأخذناهم

[1] المزهر، ص198، ينظر الشيخ بهاء الدين، عروس الأفراح، مرجع سابق، ص74

[2] المرجع نفسه، ص199

[3] المرجع نفسه، ص200، ينظر الشيخ بهاء الدين، عروس الأفراح، مرجع سابق، ص66

أخذ عزيز مقتدر"[1]، وغير ذلك، فكيف جعلتم "كثرة الحروف مخلا بالفصاحة مع كثرة المعنى فيه؟ قلت: لا مانع من أن تكون إحدى الكلمتين أقل معنى من الأخرى وهي أفصح منها إذ الأمور الثلاثة التي بشرط الخلوص عنها لا تعلق لها بالمعنى"[2]

4- ألفاظ القرآن:

ينقل السيوطي قول الإمام أبو القاسم الحسين وهو من أئمة السنة والبلاغة في خطبة كتابه المفردات "فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى، بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[3].

5- كتاب الفصيح:

أورد السيوطي أن ثعلب ألف كتابه الفصيح المشهور والتزم فيه بالفصيح أو الأفصح مما يجري في كلام الناس وكتبهم، وفيه يقول بعضهم:

كتاب الفصيح كتاب مفيد يقال لقاريه ما أبْلغه!

بنيّ عليك به إنه لُبابُ اللبيب وصنوُ اللغة

وقد اعتنى به الناس قديما وحديثا كما شرحه العديد من العلماء.

يقول أبو حفص الضرير: "سمعت أبا الفتح ابن المراغي يقول: سمعت إبراهيم بين السري الزجاج (رحمه الله)، يقول: دخلت على ثعلب (أبي العباس) في أيام المبرد (أبي العباس محمد بن يزيد) وقد أملى علينا شيئا من المقتضب، فسلمت عليه. فقال ثعلب: قد حمل إلى بعض بما أملاه هذا الخلّدي (يعني المبرد)، فرأيته لا يطوع لسانه بعبارة فقلت له: إنه لا يشك في حسن عبارته اثنان، ولكن سوء رأيك فيه يعيبه كذلك، فقال: ما رأيته إلا ألكن متقلقا فقال

---

[1] سورة القمر 42

[2] ينظر الشيخ بهاء الدين، عروس الأفراح، مرجع سابق، ص67

[3] المزهر، ص201، ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص6

أبو موسى: والله إن صاحبكم ألكَنُ (يعني سيبويه)، فأحفظني ذلك[1] ، ثم قال: بلغني عن الفرّاء أنه قال: دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة، وأتيته فإذا هو أعجم لا يُفْصح"[2]

6- معرفة الفصيح من العرب:

أ- أفصح الخلق:

ذكر السيوطي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أنا أفصح العرب، رواه أصحاب الغريب، ورواه أيضا بلفظ: أنا أفصح من نطق بالضاد بَيْدَ أنى من قريش، وتقدم الحديث "أن عمر قال: يا رسول مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظْهُرِنا..." الحديث.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي أن رجلاً قال: يا رسول الله ما أفصحكَ! فما رأينا الذي هو أَعْرَبُ منك، قال: حقّ لي، فإنما أنزل القرآن عليَّ بلسانٍ عربيٍّ مبين.[3]

وقال الخطابي: اعلم أن الله لما وضعَ رسوله صلى الله عليه وسلم موضع الإبلاغ من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمده بجوامع الكَلِم، قال: " ومن فصاحته أنه تكلم بألفاظ اقتَضَبَها لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها كقوله: مات حَتْفَ أنْفه، وحمي الوطيس ولا يُلْدَغ المؤمنُ من جحر مرتين، في ألفاظ عديدة تجري مجرى الأمثال[4]. والله أعلم

قال السيوطي: "أفصحُ الخلقِ على الإطلاق سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين جلّ وعلا"[5]

---

[1] المزهر، ص202

[2] المرجع نفسه، ص202

[3] المرجع نفسه، ص209

[4] المرجع نفسه، ص209

[5] المرجع نفسه، ص209

ب- أفصح العرب:

ذهب السيوطي في أفصح العرب إلى رأي ابن فارس في كتابه فقه اللغة الذي يقول إن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصْفاهم لغةً، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم فجعل قريشًا قُطَّان حَرَمِه، وجيران بيته الحرام ووُلاتَه... وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم، ومع فصاحة قريش وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وإشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائرهم وسلائقهم التي طُبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب.[1]

ويأخذ السيوطي أيضا بقول أبي نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف إذ يقول: كانت قريشٌ أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانةً عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقْتُدِي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، تميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخِذ ومعظمه، وعليه اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين ولم يؤخذ في غيرهم من سائر قبائلهم.[2]

7- أخذ اللغة عن أهل الحضر والوبر:

نقل السيوطي عن ابن جني في باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر: "أنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري[3] ممكن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام، لمجاورتهم أهل

---

[1] المزهر، ص210، ينظر ابن فارس الصاحبي، مرجع سابق، ص55

[2] المرجع نفسه، ص211، ينظر أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت 1986م، د ط، ص40

[3] ينظر ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص405

مصر والقبط، ولا من قضاعة، وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام... ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيَّرها عِلمًا وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب.[1]

8- رتب الفصاحة:

تبين أن رتب الفصيح متفاوتة، ففيها فصيح وأفصح، ونظيرُ ذلك في علوم الحديث تفاوتُ رتبِ الصحيح، ففيها صحيحٌ وأصَح.[2]

9- أمثلة لرتب العرب:

ومن الأمثلة التي وضعها السيوطي نجد:

1- قال في الجمهرة: البُرُّ أفصحُ من قولهم القمح والحنطة وانصبه المرض أعلى من نصبه وغلب غلبا أفصح من غلبا واللُّغوب أفصح من اللَّغْب.

2- في الغريب المصنف: قَرَرت بالمكان أجود من قَرِرت

3 - في ديوان الأدب: الحِبر: العالم، وهو بالكسر أفصح، لأنه يجمع على أفعال، والفعل يجمع على فعول ويقال: هذا مَلْك يميني، وهو أفصح من الكسر.

4- قال ابن خالويه في شرح الفصيح: قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لإخلاف في ذلك.

[1] المزهر، ص212

[2] المرجع نفسه، ص212

وفي ختام ذلك كله نستنتج بأن السيوطي اعتمد على من قبله في أغلب المسائل المتعلقة بالفصيح، ولم يكن لديه رأي صريح، لكنه يتبنى الرأي إذا أكده، فلم يخرج عما قاله العلماء، والذي فعله فقط فصّل لنا قضية الفصاحة وقسمها في أبواب، وأشار إلى كثير من تفاصيلها معتمدا على كبار علماء البلاغة وفقهاء العربية.

لكن السيوطي ببراعة العالم المدقق استطاع أن يجمع لنا كل المسائل اللغوية المتعلقة بالعربية، وغيرها من اللهجات، ورتبها ترتيبا بديعا حيث تناول المسائل التمهيدية للسان كالنشأة والوضع تم تناول المباحث الدلالية وكل ما تعلق بعلوم اللسان العربية، فالسيوطي كما قال الدكتور "نوار عبيدي" وجد علوم العربية متفرقة كالآلئ فجمعها وصنع منها عقدا جميلا غالي الثمن، ثم من أراد أن يلبس العقد وتمتع به وفهم صنعته فقد فاز.

خاتمة

خاتمة

بعد هذه الجولة في رحاب المباحث اللسانية عند السيوطي يمكن أن نستنتج ما يأتي:

- يعد السيوطي من عمالقة اللسانيات العربية ومن أشهر وأكبر اللغويين الذين اهتموا بالقضايا اللغوية العربية.
- المزهر في العلوم العربية من أهم المؤلفات التي بسطت وفصلت في كثير من المباحث اللسانية التي تشغل بال اللسانيين المحدثين.
- استطاع السيوطي أن يرتب المباحث اللسانية ترتيبا منهجياً جعلها في أبواب متناسقة فبدأ بالمسائل الدلالية ثم المفردات ثم النحو والصوت.
- وهو عينه المنهج البنيوي الذي يدعو إلى دراسة المستويات اللسانية.
- قضية نشأة اللغة من أهم القضايا التي شغلت بال الباحثين، حيث اختلف العلماء فيها منذ القديم وانتهت الفكرة إلى نظريات كبرى من بينها (النظرية التوقيفية، النظرية الفطرية، نظرية الاصطلاح ونظرية محاكاة الأصوات)، حيث اهتم السيوطي بقضية نشأة اللغة في كتابه المزهر فنقل ورتب آراء العلماء وحججهم وناقشها، وكان رأي السيوطي الغالب هو التوقيف مثلما ذهب اليه ابن فارس وغيره.
- الفصاحة عند السيوطي موجودة في اللفظة وعند المتكلم.
- فصل السيوطي في مسائل الفصاحة بمنهج فريد ودقيق.
- الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق وقريش أفصح القبائل.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد أفدنا ولو بالقليل بهذا العمل، ولا يسعنا إلا أن نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا، فإن أصبنا فمنه عز وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

ولا حول ولا قوة الا بالله

قائمة مصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

المصادر:

- السيوطي، جلال الدين، (747هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، دار الجيل، بيروت، د ت، د ط.

المراجع:

1- اميل يعقوب، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م، ط1.

2- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب،1983م، طبعة جديدة.

3- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، 1988م، ط6.

4- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1980م، ط1.

5- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م، ط2.

6- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية بيروت، د ت، د ط.

7- أسعد داغر، حضارة العرب، مطبعة هندية بالموسيكي، مصر،1918م، د ط.

8- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م، ط2.

9- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج2، 2003م، ط1.

10-تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،1981م، د ط.

11-توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، دار التضامن للطباعة، القاهرة،1980م، ط1.

12-ثعلب (أبو العباس)، كتاب الفصيح (فصيح ثعلب)، تعليق ونشر محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة التوحيد بدرب الجماميز، ط1، 1368 -1949م.

13-الجاحظ، البيان والتبين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، 1998م، ط7.

14-الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 1983م، د ط.

15-ابن جني، الخصائص، مطبعة الهلال، مصر، 1913م، د ط.

16-الجوهري، الصحاح، تحقيق محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة،2009، د ط.

17-ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، مصر، ج1، د ت، د ط.

18-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2003م، ط1.

19-ابن دريد، الجمهرة، مكتبة المثنى، بغداد، ط1، د ت.

20-عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت،1973م، د ط.

21-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ت، د ط.

22-رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ط3.

23-الزمخشري، الكشاف، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م، ط1.

24-السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1983م، ط1.

25-ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، تحقيق على فوده، مكتبة الخانجي، مصر، 1932م، ط1.

26-عبد العزيز عتيق، علم النحو والصرف، مكتبة منيمنه، بيروت، لبنان، 1963م، ط1.

27-ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1993م، ط1.

28-فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز، دار الصادر، بيروت، لبنان، 2004م، ط1.

29-محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، 1996م، ط1.

30-محمد الطنطاوي، نشأة النحو والتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، د ت، ط2.

31-محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2006، ط1.

32-محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م، ط1.

33-ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1119م، ج1، ط1.

34-أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت 1986م، د ط

35-نوار عبيدي، المباحث الصرفية في المعاجم العربية، دار أنوار للنشر، عنابة، الجزائر، ط2، 2018.

36-نور الدين بليبل، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، سلسلة كتاب الأمة، عدد 84، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر،2001م، ط1.

فهرس الموضوعات:

شكر.....

اهداء.....

مقدمة ..... أ

مدخل: اللسانيات العربية القديمة..... 5

1- علم الصوت 6

2- علم الصرف..... 8

3_علم النحو 11

4- علم الدلالة 14

الفصل الأول: المباحث اللسانية الكبرى في اللغة العربية 17

المبحث الأول: ترجمة جلال الدين السيوطي 17

1_ سيرته الذاتية 17

2_ مؤلفاته 19

3 _ وفاته 20

المبحث الثاني: نشأة اللغة..... 20

1- مفهوم اللغة 20

2- نشأة اللغة 21

المبحث الثالث: فصاحة اللغة 29

1- مفهوم الفصاحة 29

2- فصاحة قريش 31

3- الفصاحة عند المتكلمين 35

4- الفصاحة عند البلاغيين المتأخرين 39

الفصل الثاني: المباحث اللسانية من وجهة نظر السيوطي..... 44

المبحث الأول: التعريف بالكتاب المزهر..... 44

المبحث الثاني: نشأة اللغة..... 48

1_حِّد اللغة ومفهومها 48
2_ واضع اللغة 49
المبحث الثالث: فصاحة اللغة 61
1_معنى الفصيح 61
2-مدار الفصاحة 62
3-أقسام الفصاحة 62
خاتمة 76
قائمة المصادر والمراجع 78
الفهرس..... 88

الملخص

العربية من أفضل اللغات وهي اللغة التي قدر لها بفضل الله عز وجل أن تستمر وتدوم ولا عجب فهي لغة القرآن الكريم ،وبما أن اللغة العربية كغيرها من اللغات لديها علومها و مصنفاتها وقضاياها التي شغلت بال الباحثين من أجل البحث والتعمق فيها ، ومن أهم هذه القضايا التي قمنا بالتركيز عليها نجد أصل نشأة اللغة وهي المسألة التي اختلف فيها الباحثين قديما وحديثا ، بحيث تعددت الأراء والفرضيات التي تفسر نشأة اللغة من أهم النظريات التي وضعت لهذه المسألة (نظرية الإلهام والوحي ، نظرية محاكاة أصوات الطبيعة ، نظرية الاتفاق والاصطلاح ، النظرية الفطرية) ، نوجد بأن السيوطي تناول في مؤلفه المزهر هذه المسألة مكتفيا بنقل أقوال عدد من العلماء وحججهم والاستدلال عليها . أما القضية الثانية التي قمنا بدراستها فهي فصاحة اللغة باعتبار الفصاحة هي الوضوح والبيان، ويقول السيوطي بأن الفصاحة موجودة في اللفظة وعند المتكلم.

Abstract

The Arabic language is one of the best languages, which, thanks to God, has been destined to continue and to last. It is not surprising that it is the language of the Holy Koran, and since the Arabic language, like other languages, has its own science, its classifications and its issues that have been the subject of research and research. One of the most important of these issues on which we have focused is the origin of the language, which is the issue in which researchers have differed in both old and recent years.

The second case that we studied is that the language is eloquence, considering the disclosure as clarity and statement, and the oligarch says that the eloquence is present in the word and at the speaker's.